

بحث في الأدب الأندلسي - ٢

الشِّكْوَى مِنَ الْعُلَمَاءِ في أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ

بقاتم الدكتور

عبدالله بن علي بن ثقفان

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد

كلية اللغة العربية - قسم الأدب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض



مكتبة

البيت الكبير

الشِّكْوَى (مِنَ الْحُلَّةِ)
في
أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ

جَمِيع الْحُقُوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧ ~ ١٩٩٦ مـ

مكتبة الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
الثَّقَبَّات هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص . ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

لم يكن (ابن عبد ربه)^(١) بعيد عن الواقع الذي عاشته بلاده، وذلك عندما وضع في عقده عنواناً هو «باء المؤمن في الدنيا»^(٢) باديأً إياه بقول النبي ﷺ: «المؤمن كالخامة من الزرع: تميل بها الرياح مرة كذا ومرة كذا، والكافل كالأرزة المجددة على الأرض يكون انجعافها مرة...»^(٣).

فالأندلس منذ بداية تاريخها إلى نهاية الفترة الإسلامية فيها وهي ومن عليها يتعرضان للرزایا، وكثرة المصائب، وما ذلك إلا دليل على صدق حديث رسول الله ﷺ، ولهذا فإن إيمان (ابن عبد ربه) قد جعله ذلك الكاتب الذي لا تبع كتابته من اندفاع زائف، إنما كانت استجابة لوضع معاش متوقع^(٤):

إن المصائب في الأندلس قد أذلت الكثير من أهلها، فكم من ملك أو أمير أو مسود أذله الدهر^(٥)، ناهيك عن العامة فهي محل السيوف والتشريد

(١) ابن عبد ربه: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَيْر القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ). انظر ابن عبد ربه وعقده، ص ٤٦ - ٢٣ . وقد حوت حديثاً موسعاً عن حياته، إذ اعتمد المؤلف على المصادر الأساسية التي تحدثت عن حياة صاحب العقد الفريد.

(٢) انظر: الجزء الثالث من العقد، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٣) انظر: السابق، ص ١٣٧ .

(٤) انظر: حول الأديب والواقع، ص ١٧ .

(٥) انظر: العرب في الأندلس، ص ٤٣ .

والتنكيل ، وما قول الشاعر الآتي من فراغ^(١) :
 أعندهم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحدث القوم ركبان
 كم يستغثث بنا المستضعفون وهم أسرى وقتلى فما يهتز إنسان؟
 وأين هذا القول الذي ينم عن ضعف متناهي ، وعن خور وعن كثرة
 مصائب .. ؟ من قول الشاعر^(٢) :
 ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرنا
 إن الضعف قد جاء ترجماناً لما عانت منه الأندلس وأهلها:
 إن للدهر صولة وانقلاباً لهذا نعيمه لن يدوما^(٣)
 ونتيجة لما أحدثه الأيام ، فما عاد للسعادة طعم عند الناس حتى وإن
 عرفوا الاستقرار في يوم من الأيام يستوى في ذلك الحاكم والعالم والإنسان
 العادي ، فالحاكم بدءاً من (الداخل) وانتهاء (بابن الأحمر) عانوا من الصعب
 والمشاق الكثير سواء أكانت داخلية أم خارجية وقد كفتنا كتب التاريخ مؤنة
 الحديث عن ذلك ، (فالناصر)^(٤) الذي حكم الأندلس خمسين سنة (٣٠٠ - ٤٨٦)

(١) بيان من قصيدة مشهورة للشاعر (صالح بن شريف الرندي) ومطلعها:
 لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغير بطيب العيش إنسان
 انظر الفتح . . . ، ج ٤ ، ص ٨٧ وما بعدها ، وانظر ما كتب عنه في هامش ص ٤٨٦
 من السابق .

(٢) بيت من مقطوعة منسوبة (لطارق بن زياد). انظر السابق، ج ١ ص ٢٦٥.

(٣) من مقطوعة للشاعر الشيخ أبي عثمان سعد بن أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي.
 انظر: الفتح . . . ج ٥ ، ص ٥٥٨ - ٥٥٩.

(٤) هو الخليفة (عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل) ، حكم الأندلس خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، إذ تولى الحكم في مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وثلاثين عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد ، وتوفي في ليلة الأربعاء للليتين خلتان من شهر رمضان سنة خمسين وثلاثة ، كان أعظم بنى أمية بالمغرب سلطاناً ، وأفخمهم في القديم والحديث شأنًا وأطولهم في الخلافة ، كما كان يضرب به المثل في الارتفاع =

٣٥٠ هـ) لم يصف له منها سوى أربعة عشر يوماً «إذ وجد بخطه - رحمة الله - أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا، وعدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً...»^(١)، وقد علق صاحب النفح على هذا بقوله: «فأعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفاتها، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها...»^(٢)، و(المعتصم بن صمادح)^(٣) «قد صدمته خيل المرابطين في آخر دولته وهو عليل علته التي مات منها، فحاصروه وقاتلواه ويقول أثناء ذلك: نُعْصِنَّا كل شيء حتى الموت... إلى أن هلك بعد ذهاب المرابطين عنه...»^(٤) وهو القائل حينما ألفى جاريته تبكي عند رأسه^(٥).

ترفق بدموعك لا تفنه فيين يديك بكاء طويل
وإذا كان ذلك قد حصل على (الناصر) و(المعتصم) فلا يغيب عن بالنا
ما حصل لآل عباد خاصة (المعتمد)^(٦) ذلك الذي كان مشهوراً في حربه ضد
أعداء الإسلام، وبسعة مجاله بين الطعن والضرب، وبأدبه^(٧) فقد تعرض

= في الدنيا والصعود. انظر ما كتب عنه في الحلقة السيراء، ج ١، ص ١٩٧ وما
بعدها، وانظر (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٠.

(١) من النفح، ج ١، ص ٣٧٩.

(٢) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٣) هو محمد بن معن بن صمادح التجيبي المعتصم بالله، الملقب بأبي يحيى، حكم (المرية) أربعين سنة (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) انظر ما كتب عنه في الحلقة...، ج ٢، ص ٧٨ وما بعدها.

(٤) من السابق، ص ٨٣ - ٨٤.

(٥) انظر: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص ١٧٢.

(٦) محمد بن عباد المعتمد على الله، ويلقب أيضاً بالظاهر وبالمؤيد (٤٣٢ - ٤٨٨ هـ)، انظر الذخيرة... ق ٢ م ١، ص ٤١، ٥٧ وانظر الحلقة السيراء...، ج ٢، ص ٥٢ وما بعدها، وهناك خلاف في مولده، فصاحب الذخيرة ما أثبتناه، أما صاحب الحلقة فقال سنة ٤٣١، انظر ص ٥٣، وانظر أيضاً كتاب: المعتمد بن عباد، لكمال أدهم.

(٧) انظر الذخيرة، ق ٢، م ١ ص ٤١.

في حياته لمأسى من قرأتها لا بد له أن يكون «جامد الحسن فاتر العاطفة حتى لا يأسى لمؤسسة المعتمد، ولا تهزه أشعاره الباكية، وأنغامه الشجية وينثر فيه ما ذاق من الهوان وتعرض له من سوء المعاملة في منفاه هو وزوجه وأولاده...»^(١).

وتتواصل المأسى على أهل الأندلس خاصة حكامها، ثم تأتي أسوأ المأسى عندما نصل إلى (ابن الأحمر)^(٢) ذلك الذي بخروجه هو وأهله ومن معه من الأندلس «اختتمت المأساة الأندلسية، واستولى القشتاليون على «غرناطة» آخر الحواضر الإسلامية في إسبانيا، وخفق علم النصرانية فوق صرح الإسلام، وانتهت بذلك دولة الإسلام في الأندلس...»^(٣)، وبانتهاها «احتبس الزفرات في الصدور...»^(٤) وكان أكثر الباكين على ذلك التراث (ابن الأحمر) نفسه، «إذ وقف بعد التسلیم يسرح ببصره لآخر مرة في الربوع العزيزة على نفسه، وشهدت مواطن عزه وسلطانه، فانهمر في الحال دمعه، واجهش بالبكاء، فصاحت به أمه عائشة، «أجل فلتبك كالنساء ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال...»^(٥).

(١) من: المعتمد بن عباد، ص ١٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن سعد بن علي بن يوسف بن محمد الغني بالله (٨٨٧ - ٨٩٢، ٨٨٩ - ٨٩٧ هـ). انظر: النفح...، ج ٤، ص ٥٢٨، وانظر سلسلة نسبه وفترتي حكمه في التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧ هـ)، ص ٥٦٦ - ٥٦٧ (قائمة نسب بنى الأحمر).

(٣) من نهاية الأندلس، ص ٢٦٤.

(٤) من السابق، ص ٢٦٥.

(٥) من السابق، ص ٢٦٧، وفي الواقع إن (ابن الأحمر) لم يسلم المدينة إلا نتيجة لعدم قدرته على الوقوف وحيداً أمام الزحف النصراني «وحرضاً على سلامة المدينة وسلامة الرعماء...» انظر السابق، ص ٢٥٧. أما والدته فهناك خلاف في اسمها، انظر السابق، ص ١٩٦ - ١٩٧، والغريب في الأمر أن رکز معظم الباحثين على هذه النهاية المؤسفة (لابن الأحمر) وللأندلس، وما علموا أن هناك من الحكم من =

لقد كان البكاء مرآً خاصة عند الحكماء أمثال (ابن الأحمر)، فقد أعياه علاج هذا الأمر الخطير، فكان ما كان، والله الأمر من قبل ومن بعد^(١).

أقول: إذا كانت تلك حال من لهم مكانة في الأرض الأندلسية، فكيف بالعلماء وأصحاب الفكر؟! فمن ينصفهم^(٢) إذا كانت تلك حال ملوكهم وخلفائهم؟

كان العلماء والمفكرون في الأندلس قد «تفرقوا أيدي سبا»^(٣) بسبب الفتنة الداخلية والخارجية^(٤) خاصة الأحياء منهم، الأمر الذي أدى إلى جعل الشخصية الأندلسية وبالذات شخصية المفكر تعيش في قلق، وتتنازعها أمور عدّة، فبعضهم يرى أن بقاءه في بلده من الضعف الذي سيؤدي به إلى النهاية المجهولة، والبعض الآخر يرى أن ابعاده عن الوطن مأساة تزيد على مأساه التي يعاني منها داخلياً في نفسه^(٥):

= تصرف تصرفاً أسوأ من تصرفه - في حين أنه إذا طلب مساعدة من أحد فإن يامكانه - (كابن ذي النون) الذي خرج من طليطلة عام ٤٧٨ هـ على أسوأ صورة وأقبحها، بينما (ابن الأحمر) ليس هناك في فترته من يساعدة (عام ٨٩٧ هـ) ذلك لأن الضعف قد عم. انظر ما كتب عن (طليطلة) وابن ذي النون في الفتح...، ج ٤، ص ٤٤٧ .
(١) انظر ما كتب صاحب الفتح عن «انتقام حمل الأندلس» في نفحه، ج ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) انظر رسالة الإمام الكاتب القاضي أبي المطرف بن عميرة التي وجهها إلى أبي جعفر بن أمية - في السابق، ص ٣٠٥ - ٣٠٨ .

(٣) انظر: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢٧٩ .

(٤) مثل حادثة (هيج الريض) و (فتنة قرطبة). عن الأولى انظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٨ - ٦٩ ، وعن (الثانية) انظر: الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٤٤ وما بعدها، وقد كتب عنها بتوسع الدكتور إحسان عباس في كتابه (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٣٣ وما بعدها، أما الخارجية فتتمثل في الحروب بين المسلمين والإسبان وقد تحدثت عنها كتب التاريخ.

(٥) الشاعر، هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة، انظر: ما كتب عنه في الذخيرة...، ق ٣، م ٢، ص ٥٤١ وما بعدها وانظر: كتاب (ابن خفاجة... شاعر شرق =

آه من غربة ترقرق بشأ
آه من رحلة تطول نواها
آه من فرقة لغير تلاق

(فحادثة الهيج) كانت بفعل (أعلام قرطبة)، إذ أنكروا على الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ أشياء رابتهم، فأرادوا خلعه وأرادوا وضع (ابن عمّة له يعرف بابن الشمام) مكانه، لكنه نقل ذلك للحكم، وبعدها أخذت أسماء من شارك في هذه الحادثة فقبض على من قبض عليه، وفرّ من فرّ شرقاً وغرباً^(١).

أما «فتنة قرطبة»، أو «الفتنة البربرية» فقد قضت على كثير من العلماء والأدباء بالموت والشرد^(٢)، فقد أصيب في وقعة (فتنتيش) وحدها ما يزيد على ستين من المؤذبين خاصة^(٣)، أما ما كان يسببه العدو داخل أرض الأندلس من قلق للناس بصفة عامة والمفكرين بصفة خاصة فيكوننا دلالة على ذلك ما حصل للشاعرين (عبد الجليل بن وهبون)^(٤) و(ابن خفاجة)، «إذ لقي (عبد الجليل) (ابن خفاجة) بين لورقة.. والمريء، والعدو يُرْقَع حتى مهب الصبا، فباتا ليتهما (بلورقة) إلى أن طلع لهما الصباح أو كاد فقاما، وقام الناس إلى رحالهم فشدّوها، وافتقدوا أسلحتهم وأعدوها، وساروا يطيرون وجلاً، ومنهم الشاعر (عبد الجليل)، فجعل (ابن خفاجة)

= الأندلس ٤٥٠ - ٥٣٣، وانظر: البيتين في الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٣٣٦ وذلك في موضع (شعر الغربة والحنين).

(١) انظر: تاريخ انتتاح الأندلس، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) انظر: (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٣٧.

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) هو الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي. انظر ما كتب عنه في الذخيرة ق ٢، م ١ ص ٤٧٣ وما بعدها، وقد أشار المحقق في هامش الصفحة المذكورة للكتب التي ترجمت (لابن وهبون).

يؤمّنه إلى أن مَرَّاً بمشهدِين عليهما رأسان باديان وكأنهما بالتحذير لهما مناديان، فقال (أبو إسحاق بن خفاجة):
 أَلَا رَبُّ رَأْسٍ لَا تَزَوَّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ وَالْمَزَارِ قَرِيبٌ
 فقال عبد الجليل:

يقول حذاراً لَا اغترار فطالما أَنَا خَاقَ قَتِيلَ بِي وَمَرَّ سَلِيبٌ^(١)
 «فَمَا أَتَمْ قَوْلَهُ حَتَّى لَاحَ لَهُمَا قَثَامٌ فَانقَشَعَ عَنْ سَرِيَّةِ خَيْلٍ كَفْطَعِ اللَّيلِ،
 فَمَا انْجَلَتْ إِلَّا (وعبد الجليل) قَتِيلٌ وَ(ابن خفاجة) سَلِيبٌ...»^(٢).

ولعل أسوأ مأساة على الأندلس وأهلها تلك النهاية التي بسببيها رحل «جمهرة كبيرة من أقطاب العلم والأدب، هم البقية الباقيّة من مجتمع الأندلس الفكري»^(٣)، فأصبحت الأرض بعدهم خاوية واستولى عليها النصارى^(٤):
 حَكْمٌ مِنْ اللهِ حَتَّمَ لَا مَرْدَ لَهُ وَهُلْ مَرْدٌ لِحَكْمٍ مِنْهُ مَنْحَتَمٌ
 ولكثره هجمات الأعداء على الأندلس وأهلها قبل أن تحل النهاية التي
 بها استولى الكفار على الأندلس الإسلامية، فإن أحدهم^(٥) قد قال مخاطباً
 الأحياء من أهل بلاده، داعياً إياهم بالخروج عن الأرض لكثرة الفتنة^(٦):

(١) انظر: الذخيرة... ق. ٣، م. ٢، ص. ٦٤٨ - ٦٤٩.

(٢) من السابق، ص. ٦٤٩.

(٣) من نهاية الأندلس...، ص. ٢٨٠.

(٤) من السابق، الصفحة نفسها، والبيت من قصيدة للشاعر (العقيلي) الذي رحل مع أميره (ابن الأحمر).

(٥) هو الشاعر عبد الله بن فرج اليحيبي، يعرف بابن العسال. انظر ما كتب عنه في:
 تاريخ الأدب العربي، ج. ٤، ص. ٧٠٦ - ٧٠٧ وقد أشار إلى مصادر ترجمة الشاعر.

(٦) انظر البيتين في المعجب..، هامش ص. ٧٣، والنفح...، ج. ٤، ص. ٣٥٢، على
 أن الناظر يرى سلبية الشاعر وسلبية دعوته هذه أمام النصارى، وعدم القدرة على
 مواجهتهم.

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

ثم قال:

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط
و (ابن العسال) لم يكن الوحيد الذي دعا بلاده للخروج عن هذه
الفتن بشيء من السلبية، بل هناك (ابن الدباغ)^(١) الذي قال عقب وقعة
(العقاب):

فما في أرض الأندلس مقام وقد دخل البلاء من كل باب
تلك سلبية واضحة، إلا أن الواقع قد دعاهم - أقصد الشاعرين
وأمثالهما - إلى هذه السلبية وهو واقع مرير عاشه الشاعران واستمر بعدهما
في العصور اللاحقة؛

فنجد أن الوزير الكاتب (لسان الدين بن الخطيب)^(٢) قد قال في إحدى
رسائله التي بعثها إلى سلطان فاس والمغرب على لسان الأمير يوسف بن
ناصر (سلطان غرناطة):

«... وفي هذه الأيام عميت الأنباء، وتکالبت في البر والبحر
الأعداء، واختلفت الفصول والأهواء، وعاقت الوراد الأنوا...، ثم يقول:
والعدو بساحتنا في هذه الأيام ريض...»^(٣)، والكاتب نفسه قد قال في
رسالة أخرى موضحاً الواقع المرير الذي يعيشه الناس في عصره: «وإن

(١) هو إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي، يلقب بأبي إسحاق. انظر النفح...، ج ٤، ص ٤٦٤، أما موقعة (العقاب) فانظر ما كتب عنها في كتب التاريخ، مثل كتاب (التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ، ص ٤٩٠، ما بعدها.

(٢) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد، ويعرف (بابن الخطيب السلماني ٧١٣ - ٧٧٦ هـ). انظر ما كتب عنه في الإحاطة، ج ١، ص ٢٠، ٤٣.

(٣) من النفح...، ج ٤، ص ٤١٨.

تشوفتم إلى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين، بمقتضى الدين المتن
والفضل المبين، فاعلموا أننا في هذه الأيام ندافع عن العدو تياراً، ونكابر
بحراً زخاراً...^(١)، أما العامة، فقد تعذبت كثيراً نتيجة لما أحدثه الفتنة في
الأندلس، ففي عهد (الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ) شعر الناس خاصة
ال العامة منهم بالخوف ذلك لأنه قد حصلت بينه وبين عميه فتهنّجها العدو
الذي قصد (برشلونة)^(٢)، الأمر الذي الحق بالناس ضرراً شكوا منه، وفي
مكان آخر من الأندلس وفي عهد الحكم نفسه سمع صوت امرأة قالت فيه:
«وأغوثاه... بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا، فأيمنا
وأيمنا، فسألها أحدهم عن شأنها، فقالت: كنت مقبلة من الباادية في رفقة،
فخرجت علينا خيل العدو، فقتلت من قتلت وأسرت من أسرت...»^(٣)
وكان (الحكم) رحمة الله قد لبى صوتها فأعلن الجهاد، ثم سألها ذلك الذي
سمع صوتها الذي استغاثت به الحكم، فقالت: «والله لقد شفى الصدور،
وانكى العدو، وأغاث الملهمون، فأغاثه الله...»^(٤) ولعل العامة عانت أكثر
ما عانت أيام «الفتنة البربرية» التي كان من آثارها الهلع الذي أصيّبت به
النفوس من تغلب البربرة وترصدتهم الحرّة والدور بالهتك والسلب، ولقد
بلغ من إشراق الناس يؤمّن أنهم استفتقوا شيوخ المالكيّة في تعجيل صلاة
العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل، إذ كان متلصّصة البربرة يقفون لهم في
الظلم في طرق المسجد^(٥)، وفي النهاية أخذتهم الفتنة الأخيرة^(٦).. وأنذ

(١) من السابق، ص ٤٤٤.

(٢) انظر: النفح...، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) من السابق، ص ٣٤٣.

(٤) من السابق، الصفحة نفسها.

(٥) من تاريخ الأدب الأندلس (عصر سيادة قرطبة) ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٦) من تاريخ أداب العرب، ج ١، ٣، ص ٣٢٦، وذلك مثل فتنة (بنسبة) التي استمر حصارها عشرين شهراً، فعدم الناس الطعام، وأكلوا الفثار والكلاب والجيف، ثم =

النصارى يحملون المسلمين على التنصير كرهاً «فمن خافهم عمدوه. ومن خالفهم طردوه...»^(١).

أقول: إن أهل الأندلس عامتهم وخاصتهم قد عانوا من العلل الكبير،
فما تلك العلل؟ وما المقصود بها؟

إن البحث في الصفحات اللاحقة سيكشف عن بعض تلك العلل ودور
الفكر في الكشف عنها، وهل وفق أم لا؟ وما دور المفكر في مثل هذه
المراحل وعبر العصور التي مر بها ذلك المجتمع في الأندلس المفقودة؟؟.

= أخيراً أكل الناس بعضهم البعض فمن مات منهم أكلوه، فبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقون... انظر النفح...، ج ٤. ص ٤٥٥ وما بعدها، وانظر: دروس من الأندلس، ص ٦٦.

(١) النفح...، ج ٤، ص ٥٢٧، وتاريخ أداب العرب، ج ٣، ص ٣٣٣.

البحث

الشكوى من العلة

كان أصحاب المعاجم قد تحدثوا عن «العلة» فقالوا:

إنها المرض، فاعتزل فلان، أي مرض فهو عليل^(١).

أو هي ما يحل بالمحل فيتغير به حال المحل، ومنه يسمى العرض علة، لأن بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف^(٢).

أو هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه^(٣).

أو هي كل حدث شاغل^(٤)، يشغل صاحبه عن وجهه، فكأنَّ تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه شغله الأول^(٥).

وقالوا: إن العلة هي الحزن^(٦).

(١) انظر: الصداح، ج ٥، ص ١٧٧٣ مادة «علل»، ومجمل اللغة، ج ٣، ص ٦١٠، وكتاب الأنفاظ الكتابية، ص ١٧٢ - ١٧٣، وانظر: القاموس المحيط، ص ١٣٣٨.

(٢) انظر: كتاب التعريفات، ص ١٥٩.

(٣) نظر: السابق، ص ٦١٠.

(٤) انظر مجمل اللغة، ج ٣، ص ٦١٠، والمجمع الوسيط، ج ٢، ص ٦٣١، وقد تحدث هذا المعجم عن العلة عند الفلاسفة، فقال: إنها ما يصدر عنه أمر بالاستقلال أو بواسطة انضمام غيره إليه فهو علة لذلك الأمر، انظر ص ٦٣٠.

(٥) انظر: القاموس المحيط، ص ١٣٣٨.

(٦) انظر المنجد . . . ، ص ٥٢٧.

كما قالوا: إنها السبب^(١).

أقول: إذا كان أصحاب المعاجم قد قالوا ذلك عن العلة، فإنها هنا تحدُّ بأمرین هما: «المرض والحزن»^(٢)، وكل التعاريف قد دارت حولهما.

والمرض قد يكون بدنياً، وقد يكون نفسياً، وبالتالي فإن الحزن جزء من المرض، أو هو المرض ذاته وذلك إذا تحول إلى «ألم نفسى»، فقد يكون علاجه أصعب من علاج المرض البدني لمعلومية هذا، وخفاء ذاك.

وبنظرة لتاريخ أهل الأندلس نجدهم قد عانوا من الأمرین «المرض والحزن»، إلا أن الحزن كان أعمق وأكثر مرارة وأشد إيلاماً، فظهر في فكرهم جلياً واضحاً غطى على الشكوى من الألم البدني أو الجسدي.

فكم قد تعرضوا للقلق والمحن والفتنة؟!

وكم تعرضوا للتشريد؟!

وكم تعرضوا للتغير الأحوال وعدم الاستقرار؟!

(١) هكذا أطلق عليها بعض أصحاب الدراسات الشرعية، انظر: السبب عند الأصوليين، ج ١، ص ١٦٥، وأيضاً ص ١٧٧، على أن منهم من قال: «إن كل علة سبب وليس كل سبب علة»، انظر السابق، ص ١٦٧، ولذلك فالسبب أعم مطلقاً من العلة انظر السابق، ص ١٧٤، إذ يقول (البخاري) رحمه الله: «إن السبب لفظ عام يطلق على العلة، وعلى السبب المصطلح...»، انظر السابق، ص ١٧٥، وللتوضي في هذا، انظر ما كتب عن علاقة «السبب» بالعلة.. وذلك في السابق، ص ١٨١ - ١٨٨.

(٢) انظر ما كتب عن «المرض» في الطب النبوي، ص ٦٥، وأنه «مرض قلوب ومرض أبدان» وأن مرض القلوب مكون من نوعين، هما: «مرض شبهة وشك»، ومرض شهوة وغري». وانظر أيضاً ما كتب عن «المرض النفسي» في القانون في الطب، ج ١، ص ١١١، وأن «النفس شيء آخر غير البدن مثلما يحدث عند الغضب والخوف وما يشبههما».

وكم تعرضت بلادهم للغزو؟

وكم تعرضت مدنهم للهدم والتخرّب؟!

وکم.. وکم

ألا يتبعد عن كل ذلك قلق وألم في النفس؟

ألا يتحول كـ ذلك إلى مرض وحزن؟!!

مَا لَمْ جَدِّدْ عَلَمْ
وَقَضَى يَاهْ غَدا
جَورْهَا يَحْتَكْ
وَالْزَمَانُ حَكْمٌ

ثُمَّ قَالَ:

آه من دهر غدا خُرَّة يهتضر (۱)

كانت أيام المأسى قد غطت على أيام السعادة عند أهل الأندلس، بل زادت عليها فكأنهم طيلة ثمانية قرون متلاحقة ما عرقو للسعادة طعماً «ومتى علمنا أن الواقع التي نشبت بينهم وبين الفرنجة بلغت ثلاثة آلاف وسبعمائة واقعة، إلى جانب ما قام بين فئاتهم المختلفة من فتن داخلية، أدركنا في أي تيار من القلق والحدر كانوا يعيشون..»^(٢) الأمر الذي جعل ذلك كله ينعكس على الشخصية الأندلسية، فأصبحت باكية. حزينة مريضة^(٣):

(١) من مقطوعة للشاعر (حكم بن محمد) المدعو بذخر الدولة، انظر الحلة... ج ٢، ص ٧٧ - ٧٨ وانظر أيضا رسائل الشكوى من الزمان وأهله، وقلة الوفاء، وندرة الأخوان وكثرة الفساد، والشكوى من الفقر والمرض، وقد حوى بعضهما كتاب «أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري» وأشار إلى بعضها، انظر مثلاً ص ٢٩٢ وما بعدها، كما حوى «كتاب التشر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس مضامينه وأشكاله» الكثير من هذه الرسائل التي شكا فيها أصحابها الكثير من ظروف الحياة التي سببت لهم قلقاً وهما، انظر مثلاً ص ٥٩٤ - ٥٩٥، وص ٦٠٣ - ٦٠٦

(٢) من العرب في الأندلس، ص ٧١.

(٣) من قصيدة «صالح بن شريف الرندي» انظر النفح . . ، ج ٤، ص ٤٨٦ - ٤٨٨ .

عليهم من ثياب الذُّ ألوان
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
كما تفرقَ أرواح وأبدان
كأنما هي ياقوتٌ ومرجان
والعين باكية والقلب حيران
إن كان في القلب إسلامٌ وإيمان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
ولو رأيت بكاهم عند بعهم
يا ربَ أمٌ وطفلٌ حيل بينهما
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلت
يقودها العلوج للمكروه مكرهة
لمثل هذا يذوب القلب من كمد

فاما مرضها فلم يظهر إلا عند قلة قليلة من المفكرين الأندلسين مثل
«ابن شهيد» الذي هم بقتل نفسه^(١) لشدة ما أصابه، إذ نجده يقول^(٢):

أنوح على نفسي وأندب نبلاها
إذا أنا في الضراء أزمعت قتلها
رضيت قضاء الله في كل حالة
عليَّ وأحكاماً تيقنت عدلها
على ضعف ساق أو هن السقم رجلها
أظل قعيد الدار تجنبي العصا

وفي علته هذه كان قد خاطب أباً محمد علي بن حزم بقوله^(٣):
خليلي من ذاق المنية مرة
فقد ذقتها خمسين، قوله صادق
كأني وقد حان ارتحالى لم أمر
قديماً من الدنيا بل محة بارق

وكذا «ابن ولاد»^(٤) الذي قال في علته طاولته^(٥):
ملني العائدات والعوارد
وجفاني الكري فليلي سهاد
قد أفت الفراش حولاً علياً
وبكبدي من السقام كُباد
إنما الداء والدواء من الد
ـ وإن كان للطيب اجتهاد

(١) انظر الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٣٢٨.

(٢) انظر الأبيات في ديوانه، ص ١٤٥.

(٣) انظر الأبيات في السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) ابن ولاد، هو أبو بكر محمد بن ولاد، من أهل شلطيش بغرب الأندلس. انظر تحفة القادر، ص ٣٧.

(٥) انظر الأبيات في السابق، ص ٣٨.

و (ابن عبد ربه)^(١) قال عن علته مخاطباً بعض صحبه^(٢):

فلا تسألاني عن تباريحة علتي
ودونكما مني الذي تريان
ولاني بحمد الله راج لفضله ولی من ضمان الله خير ضمان

وعلة المرض غالباً ما تكون مانعة لصحابها من الحركة والنشاط، يقول
(ابن عبدون)^(٣) في إحدى رسائله: «ولولا آلام تناوبت، وأسقام تعاقب
لتلقيت أوبتك السعيدة بقدمي لا بمدادي وقلمي...»^(٤)، فابن عبدون هنا
يشكوا من علته التي كانت سبباً في منعه، على أن بعضهم قد يسلم من تلك
العلة، ولكنه يخرج منها شاحب اللون، ضعيف البدن لا يقوى على حركة
ولا على عمل، يقول (ابن سهل)^(٥):

خلصت خلوص التبر من علة الضني وأشبهت منه صفرة بشحوب
وإذا كانت علة المرض تفعل كل هذا بالإنسان، فإن بعضهم قد يجد
في (علته) لذة من ناحية خاصة كما نجد عند (المعتمد بن عباد) الذي
قال^(٦):

أسأل ربي أن تدوم بي الشكوى
فقد قررت من مضجعي الرشا الأحوى
إذا علّة كانت لقربك علّة
تمنيت أن تبقى بجسمي وأن تقوى

(١) أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ)، صاحب العقد، وله ديوان

جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية.

(٢) انظر البيتين في الديوان: ص ١٨٦.

(٣) هو عبد المعجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري، يكنى أباً محمد، وينسب إلى يابرة
٤٤٠ - ٥٢٠ هـ) وتقبل غير هذا التاريخ. انظر ديوانه ص ٤٣ - ٤٤، وانظر أيضاً
الذخيرة...، ف ٢، م ٢ هامش صفحتي ٦٦٨ - ٦٦٩.

(٤) من الديوان ص ١٩٦، والذخيرة... ف ٢، م ٢، ص ٦٨٣.

(٥) إبراهيم بن سهل الإشبيلي (٦٠٩ - ٦٤٩ هـ) انظر ما كتب عن سيرته في ديوانه،
ص ٥ وما بعدها، وانظر البيت الشعري في المصدر نفسه، ص ١٨.

(٦) انظر: المختار من شعر شعراء الأندلس، ص ٤٦.

فبالرغم من المراة الداخلية التي يلاقيها الشاعر (المعتمد) من جراء علته، إلا أنه يُسُوف على نفسه، بل ويغطي على مراة الألم بحضور من يهوى.

وإذا كان (المرض) قد أصاب أناساً فشكوا منه، فإن هناك آخرين سلموا منه، ولكنهم لم يسلموا من «الشيخوخة» والشيخوخة حتى وإن خلت من الآلام إلا «أنها قيد وأي قيد للإنسان»^(١):

وما يرجي من بنت سبعين حجة وسبعين كسر العنكبوت المُهلهل تَدَبَّبْ دبيب الطفل تسعى إلى العصا وتمشي بها مشي الأسير المكبل

وشاير آخر، قال عن شيخوخته^(٢):

أَلست ترى أن الزمان طوانى
تحيقني عضواً فمضوا فلم يدع
ولو كانت الأسماء يدخلها البلى
ومالي لا أبلى لتسعين حجة
إذا عَنَّ لي شخص تخيل دونه
وهو القائل أيضاً^(٣):

قال الأمير مداعباً بمقابلة
أين الجمال من أمرى؟ أربى على

(١) من الشعر النسوى في الأندلس، ص ٦٥، أما البيتان فهما للشاعرة مريم بنت أبي يعقوب الأنباري، انظر السابق نفس الصفحة، أما الشاعرة فانظر ما كتب عنها ص ٦٤ من نفس الكتاب.

(٢) القائل هو يحيى بن حكم البكري الجياني الأندلسي الملقب بالغزال (١٥٦ - ٢٥٠ هـ). انظر الأبيات في ديوانه، ص ١١٢ - ١١٣، وأيضاً في المختار من الشعر الأندلسي ص ٢٤.

(٣) انظر: الديوان، ص ٩٨ - ٩٩.

ومن الشعراء الذين عانوا من (الشيخوخة)، الشاعر (ابن خفاجة ٤٥١ - ٥٣٣ هـ) الذي عمر طويلاً حتى أنه بلغ مرحلة الملال من تقلب الأيام ومرور السنين وضعف جسمه^(١)، إذا نجده يقول^(٢) :

أي أنس أو غذاء أو سَيَّنة
لابن إحدى وثمانين سنة
قلص الشيب بها ذيل أمريء
طالما جَرَّ صباح رسنِه
تارة تخطبو به سَيَّنةٌ
تسخن العين وأخرى حسنه

والشاعر نفسه قد شعر بعراة وألم في نفسه بعدما فقد صحابه، فقال^(٣) :

وحسي شجواً أن أرى الدار بلقعاً
خلاء وأشلاء الصديق تُراباً
ولم يكن (ابن خفاجة) الوحيد الذي ملَّ الشيخوخة، فهناك الشاعر
(حبيب بن أحمد الشطجيري)^(٤) الذي قال عن شيخوخته^(٥) :

الحمد لله على ما قضى
فكُلُّ ما يقضى عليه الرَّضا
قد كنت ذا أيدٍ وذا قُوَّةٍ
فالليوم لا أستطيع أن أنهض
فوضت أمري للذِّي لم يُضِع
من أحسن الظنِّ ومن فَوْضَا
وهناك من لم تسعفه موهبته. فتمثل بقول زهير بن أبي سلمي^(٦) :
سنت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أباً لك يسام

(١) من المختار من الشعر الأندلسي، ص ١١٣.

(٢) من السابق، الصفحة نفسها.

(٣) من السابق، ص ١٢٧.

(٤) انظر ما كتب عنه في جلوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ج ١، ص ٣١٠.

(٥) انظر السابق، الصفحة نفسها.

(٦) أما الذي تمثل فهو الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي، شيخ علم،

كان الطلبة يجتمعون حوله للسماع منه مما جعله يقول: «واه لقد قطعتم أبهري»،

ثم تمثل بالبيت المذكور. انظر الصلة... ج ١، ص ٢٥٥، والبيت من معلقة زهير.

انظر: ديوانه، ص ٧٤.

الحزن والشخصية الأندلسية

لقد تملك الحزن من الشخصية الأندلسية فكان شأنها في ذلك شأن
الشاعر القائل^(١):

فما زلت في خوف ووحشة وفي سهر يستغرق الليل واصب
ومن أجل ذلك نجد أن الأدب الأنلنسي في معظمه قد تشكل في هذا
الإطار الأمر الذي يدعونا للقول: أن النفس الأندلسية كانت غارقة في بحر
من القلق والكآبة، ذلك الذي أفقدتها الاستمتاع بالسعادة حتى وإن كانت
عبارة.

إننا لو فتشنا في الفكر الأندلسي لوجدناه يحكى عن تلك الشخصية

(١) هو الشاعر (ابن الرومي) أبو الحسن علي بن العباس (٢٢١ - ٢٨٣ هـ) انظر ما كتب
عنه مثلاً في الكتب التالية:

أ - أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص ٢٨٢ - ٣٢٤ وقد أشار إلى مصادر
دراسته ص ٢٨٢ .

ب - الفن ومذاهب في الشعر العربي، ص ٢٠٠ وما بعدها.

ج - العصر العباسي الثاني، ص ٢٩٦ - ٣٢٤ .

د - رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص ١٢٧ وما بعدها.

هـ - تاريخ الأدب العربي - الأعصر العباسية، ج ٢، ص ٣٤٠ وما بعدها، وقد
أشار في هامش ص ٣٥٤ إلى مصادر دراسته. وانظر البيت في أمراء الشعر العربي
في العصر العباسي، ص ٣٠٢، وفي رؤية جديدة...، ص ١٩٥ .

الحزينة بوضوح وبالتالي فإن الباحث - أي باحث - ليس في حاجة لاجهاد نفسه في البحث عن الأدلة التي ثبت ذلك.

إن غالبية النصوص قد رُبطت بالوضع النفسي للمبدع أو المفكر فجاءت عاكسة لما يشعر به ذلك المبدع كجزء من مجتمع متكمّل، ولما كانت كذلك فإن هذا يعني أن الشاعر أو الكاتب في تلك البلاد لم يغفل الحقيقة التي كان يعيشها هو ومجتمعه، فجاهر بها عبر أدبه وفكرة بلغة صريحة لا تواه فيها ولا غموض، ولهذا فإن بامكاننا القول: أن ذلك الأمر هو الذي جعل الأدب الأندلسي متوجهًا على مدى الأيام لصدقه وحسن فاعليته، ومن هذا المنطلق، فإن التاريخ قد خلَّد أولئك المفكرين «الذين حملوا تلك الهموم وعانقوها تلك المسارات، واستقطبوا في نتاجهم كل ما تجيشه به الصدور في وطنهم أو في ذواتهم من ثورة وخيبة وتمرد وخذلان وشوق ومرارة...، فاستحوذ الحزن والقلق والرغبة على شعورهم، وتلقفته الجموع مشدودة إليه، تتغنى به وتملأ حياتها بنغماته وسحره في نهم ظاميء إلى المزيد منه، وقد أدركت أنه زادها على الطريق...»^(١).

إن الأديب الأندلسي قد مرَّ بجميع الحالات الوجودانية الانفعالية التي مَرَّ بها الناس في مجتمعه فاختزناها ثم ألبسها لباساً أدبياً ظهر في الشعر والثر^(٢)، ولهذا نجد أن قضايا العصر قد بدت واضحة كل الوضوح في عطائه، فإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن المدن المدمرة، والديار المخربة والمجتمع المشتت والعدو المتربص والضعف المتمكن إلى آخر ذلك، مما علينا إلا بالعودة لديوان الفكر الأندلسي لنقف على كل تلك القضايا التي ظهرت فيه، وهي قضايا عصرية ملحة اختزناها ذلك الفكر بعد أن اختزناها

(١) من رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) انظر: سيميولوجيا الإبداع في الفن والأدب، ص ١٨١.

عقل المفكر وأن كنا لا نهمل مزاجية الأديب أو المفكر، تلك المزاجية التي تجعله «لا يتلقى كل ما يصادفه، بل يتقبل ما يلائم طبعه ومزاجه»^(١).

إن القلق قد كان غالباً على ذلك المزاج، فحتى الشاعر الذي (يتغزل) نجده قلقاً، حائزأً كأنه يشكو من علة داخلية هي أقرب لعنة المرض منها لعنة الشوق والحنين للآخر، فها هو (المستعين)^(٢) يقول^(٣):

عجبأً يهاب الليث حد سناني
وأهاب لحظ فواتر الأجنان
فأقارب الأهوال لا متاهيأً
منها سوى الإعراض والهجران

و «ابن شهيد»^(٤) قال^(٥):

أبى دمعنا يجري مخافة شامت
فنظمَه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمةُ
تبسمُن حتى ما تروق المباسم
و «المعتمد بن عباد» قد صاح قائلاً^(٦):

إيا نفسُ لا تجزعي واصبرِي
ولألا فإنَّ الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك
ولاح لحراك ولا ينصف
شجون مُنْعِن الجفون الكري
وعوضنها أدمعاً تنزف

وهذا القلق يتحول عند (ابن السماك)^(٧) إلى علة نفسية تمثلت في ذلك

(١) من السابق، ص ١٧٧.

(٢) المستعين بالله أبو أيوب سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر...، انظر ما كتب عنه في الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٣٥ وما بعدها.

(٣) البيتان من مقطوعة للأمير سليمان بن الحكم. انظر السابق، ص ٤٧ - ٤٨.

(٤) أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد. انظر السابق، ص ١٩١ وما بعدها.

(٥) انظر: السابق، ص ٣٢٢.

(٦) انظر القلائد، ص ٩.

(٧) الوزير الفقيه أبو محمد عبد الله بن سماك، انظر ما كتب عنه في القلائد...، ص ٢٣٥ وما بعدها.

الحزن الذي عانى منه إذ يقول^(١):
 وكم راغب في موضع لا يناله وأمسيت منه مثل يonus في اليَمْ
 بهذا قضى الرحمن في كل ساخط يموت على كره ويحيا على رغم
 بينما يتحول عند بعضهم إلى بكاء^(٢):
 قد باح دمعي بما اكتُمَّةُ وحزن قلبي لمن يظلمه
 ولا ننسى (ابن زيدون) فقد تحول العشق عنده إلى بكاء وألم^(٣):
 أبكى وفأَ وإن لم تبذلِي صلة؛ فالطيف يقعنَا والذكر يكفينَا
 فإذا كان الشاعر المتغزل قد أظهر قلقه وحياته، وهو قلق وحزن
 داخلي تحول إلى معاناة وألم، فإنه كذلك في بقية الأغراض، فها هو
 (الأعمى التطيلي)^(٤) يعتقد أن الثراء مصدر لكثير من الهموم^(٥) إذ نجد
 يقول^(٦):

مللت حمص وملتني ولو نطقت كما نطقت تلاحينا على قدر
 والماء في المزن أصفى منه في الغُدر وسُولت لي نفسي أن أفارقها

(١) انظر: النفح...، ج ٣، ص ٣١٤ - ٣١٥، وانظر أيضاً: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف - ملامحة...، ص ٤٠٣.

(٢) من موسحة (لابن البارنة) - محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي. انظر المنشود الأندلسي، ص ١٨١ وما كتب عن الشاعر ص ١٧٥، والشاعر مشهور، وقد كتبت عنه المصادر الأندلسية المعروفة وذلك بخلاف المراجع، فهو شاعر آل عباد خاصة المعتمد.

(٣) انظر الديوان، ص ٩ - ١٣ ، والبَيِّن من قصيده المعروفة: أضحي الثنائي بدلياً من تدانيا وناب عن طيب لقيانا تجافينا (٤) هو الأديب أبو جعفر الأعمى التطيلي. انظر ما كتب عنه في القلائد...، ص ٣١٥ وما بعدها، وما كتب عنه في عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٥) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف - ملامحة العامة...، ص ٤٠٠.

(٦) من القلائد...، ص ٣١٥.

وهو القائل أيضاً^(١):

أن سوف تقتلهم لذاتها بددًا
وكاثروها وقد أحصتهم عدداً
لم يترك الموت لقماناً ولا لبداً

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا
تبادروها وقد آذتهم فشلاً
قل للمحدث عن لقمان أو لبداً

وهذه الأبيات زهد في الدنيا، ومثلها قول «الإلبيري»^(٢):

سبحان من لم يخلُ منه مكان
هي بالتي يبقى بها سُكان
يبقى المناخ وترحل الركبان
وزيادي فيها هي النقصان؟

كل امرئٍ فيما يدين يُدان
يا عامر الدنيا ليسكناها وما
تفنى وتبقى الأرض بعده مثلما
أَسْرُ في الدنيا بكل زيادة

وهو القائل لمن نصحه بالبحث عن منزل مناسب^(٣):

تعجب من حسنِه البيوت
حُفِشَ كثيرٌ لمن يموت
وخوفٌ لصَّ وحفظٌ قوت
بنيت بنيان عنكبَوت
ليس لأربابه ثبوت

قالوا ألا تستجِدُ بيتأ
فقلت ما ذلكم صواب
لولا شقاء ولفح قيظ
ونسوة يتغيّرن ستراً
وأي معنى لحسن مغنِى

أقول: إن علة الحزن هنا ليست ممثلة في شعر الشاعر المتعزل أو الزاهد في الدنيا بقدر ما هي ممثلة في شعر الشعراة الآخرين الذين عانوا من

عدة علل:

– بين علل ذاتية

– وعلل اجتماعية

(١) من السابق، ص ٣٢٢.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي، اشتهر بالنسبة إلى (الإلبيري) فقيل فيه: أبو إسحاق الإلبيري ت ٤٦٠ هـ. انظر ما كتب عنه في ديوانه بقلم المحقق (الداية) وانظر الأبيات ص ١٤٠ - ١٤١.

(٣) انظر السابق ص ٧٠ - ٧١.

– وعلل فكرية

ذلك لأن الشاعر المتغزل أو الزاهد هو الذي جلب لنفسه غالباً هذه العلة، بينما غيره من الشعراء قد تفرض عليهم هذه العلل وذلك من عدة جوانب لعل أهمها (الإخلاص والوفاء والالتزام)، خاصة إذا ما علمنا أن السكان الأندلسين - ومنهم المفكر الأندلسي - قد كانوا من عناصر متباعدة^(١)، ولذا فإن الإخلاص والوفاء للأندلس يختلف من شخص لآخر، وإن كنا لا ننفي عن المتغزل والزاهد هذا الإخلاص أو ذاك الوفاء، لكننا نقول إن ذلك من حيث الوضع العام فليس قول الناثر الذي قال فيه: «غير أن الوطن محظوظ، والمنشأ مألف، واللبيب يحن إلى وطنه حنين التَّجِيب إلى عطنه...»^(٢).

كقول الشاعر^(٣):

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي، وكلُّ العالمين أقارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة تشق على شم الدّرا والغوارب
فالناثر والشاعر قلقان، بله وحزينان، إلا أن حزن (ابن زيدون) قد كان
نتيجة لبعده عن المكان الذي يحن إليه، أما حزن (أميمة بن عبد العزيز) فقد
تمثل في حيرته واضطرابه مما جعله يسوف على نفسه بأن أرض الله كلها
أرضه، بينما هو وأمثاله يمثلون في هذه الحالة قمة الضياع وعدم الوفاء
لأرض عاشوا على ترابها، يقول أحدهم^(٤):
ذروني أجب شرق البلاد وغربها لأشفي نفسي أو أموت بدائني

(١) انظر: الفن ومذاهبة في الشعر العربي، ص ٤١١.

(٢) هو (ابن زيدون) وهذا الجزء من رسالته الجدية، انظر: تمام المتنون في شرح رسالة ابن زيدون، ص ٣٢٩ - ٣٣٢.

(٣) أبو الصَّلت أميمة بن عبد العزيز بن أبي الصَّلت الإشبيلي. انظر: الفتح ج ٢، ص ١٠٥، وقد ترجم المحقق له في هامش ص ٤٩٦ من نفس المصدر، ج ١، وانظر البيتين في ج ٢، ص ١٠٩.

(٤) القائل: أبو عيسى بن لبون. انظر ما كتب عنه في القلائد...، ص ١١١ وما بعدها، وانظر البيتين في السابق، ص ١١٥.

فلست ككلب السوء يرضيه مريض وعظمٌ، ولكنني عقاب سماء
فالشاعر هنا يعاني من علة القلق والحزن الداخلي، ذلك القلق الذي ظهر لنا من خلاله رغبته «الدائمة» في التنقل بلا توقف، . . . ،^(١) وبهذا فهو يتافق مع سابقه في هذه الحيرة التي جعلتهما لا يشعران بالانتفاء لمكان محدد معلوم.

وعلى أي حال، إذا كان الشاعر صادقاً في انتقامه أم غير ذلك فهو يعاني من علة داخلية، تلك التي جعلتهم يتفقون في التعبير عنها مع اختلاف في القدرة على التعبير عن الأحساس الداخلية، أو على مدى استجابتهم «لما تمليه عليهم قلوبهم وعقولهم»^(٢)، وإذا كان هناك اختلاف في التعبير عما يشعر به هذا الشاعر أو ذاك، فإنهم قد حاولوا قدر استطاعتهم رسم ما أحسوا به فعلاً^(٣) أو جربوه أو عايشوه.

وإذا كانت العلل قد تعددت بتنوع المؤثرات وتنوع النقوس، فإن تلك العلل قد تتجزأ عند الشعراء، وقد تتفق في شاعر، فكم من شاعر عانى من العلل الذاتية ولكنه لم ينس مجتمعه الذي هو جزء منه وببلده الذي يتمي إليه، كما لم ينس ذلك الفكر الذي يتمي إليه أو يتمي إليه المفكر في بلاده^(٤).

ولأن الأدب رحب «كرحابة الحياة الإنسانية بما تحفل به من صراع وتضارب، من متناقضات تنشأ عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية وما يستقر في أعماق هذه الذات من دروب ومنحنيات والتواء

(١) من الشعر الأندلسي في عهد الطوائف - ملامحه العامة . . . ، ص ٤٠٣ .

(٢) من الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، ١٠٢ .

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) انظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس حول شخصية (ابن خفاجة) وذلك في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين)، ص ٢٠٧ .

وتعقيد..^(١)، فقد كان وعاء لكل ما عانت منه نفس المفكر الأندلسي من حب وكراهية، من قلق وحزن، من أخذ وعطاء، من تفاعل وانزواء، من حنين ووجد إلى غير ذلك مما يشعر به الإنسان - أي إنسان - ، إلا أن أهل الأندلس قد اختلفوا عن الآخرين.

قال (أبو المطرف بن عميرة)^(٢) متحدثاً على لسان أهل بلاده وما عانوه في حياتهم^(٣) :

وإن اشتراكنا في الصَّبَابَةِ والجُوَى	زدنا على التَّائِينِ عنْ أوطانِهِمْ
من بَعْدِ أَنْ شَطَّتْ بِهِمْ عَنْهَا النُّوَى	إِنَا وَجَدْنَاهُمْ قَدْ اسْتَسْقَوْا لَهَا
مَعْ جُبْهَ الشُّرُكَ الَّذِي فِيهَا نُوَى	وَيَصِدْنَا عَنْ ذَاكَ فِي أَوْطَانِنَا
لَعْدُونَا، أَفَيْسْتَقِيمُ لَهَا الْهُوَى؟	حَسَنَاءَ طَاعُتُهَا اسْتَقَامَتْ بَعْدَنَا

هم أناس كالناس، إلا أن توالي العلل عليهم قد جعلتهم يتصرفون بصفة خاصة جعلتهم يختلفون عن الآخرين، تلك الصفة التي تمثلت في القلق الذي عانوه في حياتهم من جراء الفتنة الداخلية وكثرتها وتکالب العدو على البلاد ومضائقته لمن حلّ بها، فما عاد يعرف للسعادة طعمًا حتى وإن زهرت الأرض وتجملت وكثرت إليها بيع وتجددت.

إن النفس البشرية نفس حساسة، فكيف بها إذا تعددت حولها منفصالات الحياة؟ إن المنفصالات التي تعرض لها أهل الأندلس كثیر، ولأنهم لا يقبلون الضيم، ولا يحتملون الذل والمهانة^(٤)، فقد حلّ بهم ما حلّ دفاعاً عن

(١) من: حول الأديب والواقع، ص ١٨ - ١٩.

(٢) أبو المطرف بن عميرة، هو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ت ٦٥٨ هـ. انظر ما كتب عنه في النفح ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٧ وقبله انظر: تحفة القادم، ص ٢٠٩ - ٢١٦.

(٣) انظر الأبيات في النفح ... ج ١، ص ٣١٠.

(٤) انظر النفح ج ٣ ص ١٥٠ - ١٥١.

النفس والوطن وقد انعكس ذلك على النفس التي أصبحت قلقة حائرة مضطربة، فتجدها تقاتل فتُقتل أو تُقتل^(١) أو تُطرد فتشَرَّد^(٢)، «فتفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه..»^(٣) قال الشاعر^(٤) :
أنلهموا والحتوف بنا مطيفة ونأمن والمنون لنا مخيفة

وللتتابع ذلك القلق، فقد قال الشاعر ناصحاً بني قومه^(٥) :

من ظن أن الدهر ليس يصييه بالحوادث فإنه مغرور
فالق الزمان مهؤلاً لخطوبه وإنجر حيث يجرك المقدور
وإذا تقلب الأمور ولم تُدم فسواء المحزون والمسروع
ونصح الشاعر هنا أقرب للتسويف والسلبية أكثر منه للجد، وإذا كان قد قال هذا، فإن هناك من الشعراء من أوضح في شعره أن الناس قد تغيروا وتبدلوا^(٦) :

وكيل صديق عراه الخلل تغيير إخوان هذا الزمان
فقد دخلتهم حروف العلل وكانتوا قدِيمَاً على صِحَّة
فصرت أطالع باب البدل قضيت التعجب من أمرهم
ويبدو تأثر الشاعر الواضح بعلم العروض والنحو.

(١) لقد وصف صاحب «التفع» أهل الأندلس بأنهم أهل جهاد. انظر السابق ج ١، ص ١٤٥، ١٩٠.

(٢) وإذا كان قد وصفهم بالجهاد، فإنهم أيضاً قد شردوا عن بلادهم إما بسبب الفتنة الداخلية أو بسبب العدو. انظر السابق ج ٣، ص ١٥٢.

(٣) من السابق، ص ٢٤٣.

(٤) القائل (ابن زيدون) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٥) من السابق، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٦) من السابق ص ٤٩١، والسائل هو (ابن جبير)، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتاني، انظر ما كتب عنه ص ٣٨١ وما بعدها من نفس المصدر السابق، وانظر مصادر ترجمته في هامش المحقق ص ٣٨١.

ونتيجة لغدر الزمان، فإن الشاعر نفسه لم يعد يثق في أحد، إذ نجده يقول^(١):

صبرت على غدر الزمان وحقده وشاب لي السمّ الزعاف بشهده
وجربت إخوان الزمان فلم أجد صديقاً جميلاً الغيب في حال بعده
فالشاعر هنا حزين على عدم وجود الصديق الوفي، ولكن غيره كان
حزيناً لأن البلاد خلت من الحبيب^(٢):

لقد مررت على المنازل بعدهم أبكي وأسأل عنهم وأنوح
وأقول: إن سألوا بحالٍ في النوى
ما حال جسم فارقه الروح؟

وقال آخر^(٣):

يقول الناس في مثلِ تذكر غباءً تره
فمالـي لا أرى وطني ولا أنس تذكـره
فإذا كانت الكلمات عند الأديب تعبراً عن الإحساس^(٤)، فهي كذلك
عند الشاعر والناثر في الأندلس، إذ استطاع مفكروا تلك البلاد جعل تلك
الكلمات أدلةً مناسبة للتعبير عن ذلك القلق والحزن، بل عن تلك العلل التي
عانوا منها كثيراً والتي سنلحظها فيما يأتي:

(١) انظر: السابق، ص ٤٩٠.

(٢) القائل هو أبو جعفر الوقشي. انظر ما كتب عنه في السابق ج ٤، ص ١٣٨ وما
بعدها، وانظر البيتين في ص ١٣٩.

(٣) القائل هو أبو الطاهر الجياني، وهو إسماعيل بن مسعود الخشنى ابن أبي ركب.
انظر ما كتب عنه في تحفة القادم ص ٣٤ وما بعدها. وانظر البيتين في السابق
ص ٣٤، وقد وردتا في التحفة.. ج ٤، ص ٣٢٣.

(٤) انظر: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

أولاً: العلل الذاتية

وهي تلك العلل التي تلتصق بالإنسان أو هو يلتصق بها، وهي متعددة ومتلونة بتنوع الأهواء والمشارب، والإنسان الأندلسي قد عانى من علل ذاتية سببت له توترةً داخلياً^(١) أدى إلى عدم الاستقرار النفسي عند هذا المفكر أو ذاك، قال أحدهم شاكياً وضعه مبدياً قلقه بل ضعفه أمام ما تعرض له من علل^(٢):

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت تاقت وإن استذلت
وكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأت صبرى على الذل ذلت
والعلل الذاتية تتعدد وتتلون، فالمفكر الأندلسي قد عانى من مرارة
الهجران ووجع الشكوى كما عانى من التعasse ومن الخوف ومن الغربة
والحنين، كما هو أيضاً قد أَنَّ من الفراق ومن فقد ومن الظلم، ولا ننسى
الحسد والوشایة، قال (ابن حزم): «ولا سيما أندلسنا فإنها خُشت من حسد
أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به،
واستهجانهم حسناته وتبعهم سقطاته وعثراته...»^(٣) قال (والد ابن

(١) انظر: دراسات في الأدب الإسلامي والأموي. (الشعراء نقاداً)، ص ١٥٨.

(٢) من مقطوعة للمصفي (الحاجب جعفر بن عثمان المصفي) انظر المقطوعة وصاحبها في: مطبع الأنفس، ص ١٥٣ وما بعدها وقد أشار محقق الكتاب في هامش ص ١٥٣ إلى مصادر ترجمة الشاعر المصفي.

(٣) من الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة.. ص ٧٥ - ٧٦، وانظر ما كتب عن الحسد والوشایة في الكتب التالية، وقد حوت بعض الشواهد:

الأبار) ^(١) مدلأً على ما كان الناس فيه ^(٢):
 جرت عادة الناس أن يسألوا عن الحال في كل خير وشر
 فكل يقول بخير أنا وعند الحقيقة ضد الخبر
 فقد كانت حال أهل الأندلس كذلك، يظهرون السعادة والواقع غير
 ذلك، فهم كما قال الشاعر المشرقي ^(٣):
 فريقان: منهم جازع بطن نخلة وأخر منهم قاطع نجد ككب
 أو كما قال الشاعر الأندلسي ^(٤):
 تقسمهنَ السيف والحيف والبلى
 وشطت بنا عنها عصور وأزمان
 كما اقسمت أخذانهن يد النوى
 فهم للردى والبر والبحر إخوان

= - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٦١ .

- فتح الطيب ج ٢، ص ٢٥٧، ج ٣، ص ١٦٦ - ١٦٧، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

- المقتبس ص ١٨٤ - البيان المغرب ج ٢، ص ١٠٩ - ١١٠ .

- الذخيرة ق ٣، م ١، ص ٥٢١ - ٥٢٢، والذخيرة ق ٢، م ١، ص ١٧٣ .

- القلائد، ص ١٥ - ١٧ - ٤٤٣، - المغرب، ج ٢، ص ٤٠٢ .

- المعجب، ص ٣٠٦ - شعر الرمادي، ص ٣٢ - ٣٣ .

(١) هو عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي من أهل العلم والدين، والد صاحب كتاب الحلة السيراء، انظر ترجمة (ابن الأبار) لوالده في مقدمة المحقق التي كتبت في الجزء الأول ص ١٤ - ١٥ .

(٢) انظرهما في السابق، ص ١٥ .

(٣) الشاعر أمرؤ القيس بن حجر بن العارث بن عمرو بن حجر، شاعر مشهور (٥٠٠ - ٥٦٠ م) وانظر البيت في ديوانه ص ٣١ ، وهو من قصيده التي مطلعها:

خليلىٌ مرا بي على أم جنديٌ لنقضى لبانات الفؤاد المعذب
الديوان ٢٩ - ٣٨ ، وانظر البيت المذكور أيضاً في الذخيرة...، ق ٣، م ١ ص ١٠ .

(٤) الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي (٣٤٧ - ٤٢١ هـ) انظر ما كتب عنه في الذخيرة: ق ١، م ١، ص ٥٩ وما بهذا، وكان الدكتور (عباس) في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة) قد أشار إلى مصادر ترجمته، انظر ص ٢٣٧ ، أما الآيات فانظرها في الذخيرة ق ٣، م ١، ص ١٠ .

إذا شرق الحادي بهم غرَّت بنا نوى يومها يومان والحين أحيان
 وإذا كانت هذه العلل قد تعددت فإنها كانت تمثل أرضاً خصبة لقول
 الشعر خاصة، فكان شأن مفكري الأندلس مع علهم الذاتية كشأن الشاعر
 المشرقي «الكميت»^(١) مع الهاشمييات، تلك التي أبدع فيها مما حدا
 (بالفرزدق)^(٢) إلى القول عنه: «لقد وجد آجراً وجصاً فبني . . .»^(٣)،
 والفرزدق نفسه هو القائل: «وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء عند الخير
 والشر . . .؟»^(٤).

إننا إذا بحثنا في ديوان الفكر الأندلسي سنجد أن معظمه قد دار حول
 الذات الأندلسية وما يتعلق بها، وإذا أخذنا منه ما يتعلق بما نحن بصدده
 لوجودنا غالباً من حيث الكم، ودلالة الغلبة هنا تعني ما قد عاناه المفكر
 الأندلسي في حياته، وأنه قد استطاع أن يسخر موهبته للحالة النفسية التي
 كان يشعر أو قد شعر بها بغض النظر عن قيمة هذا الشعر من الناحية الفنية أو
 تميزه من الناحية النقدية، فالحياة قد جعلت من ذلك الأديب معبراً عن
 مكنوناته بطريقة تلقائية قد تكون هذه الطريقة سطحية وقد تكون أدوات
 التعبير فيها جيدة.

أقول: إذا كان الشعر تعبيراً عن العواطف أو هو «فيض تلقائي لمشاعر

(١) الكميٰت، هو أبو المستهل الكميٰت بن زيد الأستي (٦٠ - ١٢٦ هـ). انظر ما كتب
 عنه في تاريخ الأدب العربي ج ١، ص ٦٩٧ - ٧٠٤، وقد أشار في ص ٧٠٤ إلى
 بعض مصادر ترجمته.

(٢) الفرزدق، هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة ٢٠ - ١١٤ هـ. انظر ما كتب عنه
 في السابق ص ٦٤٩ - ٦٦٣ وقد أشار في الصفحة الأخيرة إلى بعض مصادر ومراجع
 ترجمته.

(٣) من: (الشعراء نقاداً)، ص ١٦٢.

(٤) الأغاني . . . ، ج ٨، ص ٣٧، وانظر السابق ذكره في رقم (٣)، ص ١٥٩.

قوية . . .^(١)، ومثله النثر، فإن المفكر الأندلسي قد سخر فكره ليكون مرأة عاكسة^(٢) لما كان في دواخله أو مكتوناته، وهي مكتونات قد أصابها القلق فكان ذلك العطاء صورة صادقة لما في النفس أو لما كان ذلك المفكر يشعر به؛ وهذا العطاء قد جعلنا وكأننا نعايش أولئك القوم بما هم فيه فكان شأننا في ذلك كشأن (محمد بن يسir)^(٣) الذي قال - مع اختلاف في المناسبة -^(٤): حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرهم حقب إن الحياة الأندلسية لم تتصف لأحد، وليس ذلك بغرير، فهذا شأن الدنيا بخاصة مع الإنسان المفكر^(٥) :

وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر وإنما الصفو فيها للمجانين

قال الشاعر شاكياً حاله^(٦):

يا عمرو أين عمير من كدی يمن
طول ارتحالي وأحظ غير طائلة
لقد هوت بك يا عمرو الرياح وبي
وغيبة ناهزت عشرأ من الحقب

(١) من كتاب في نظرية الأدب، ص ٢١٨.

(٢) انظر: نظرية الانعكاس في السابق، ص ٨١.

(٣) محمد بن يسir الرياشي يلقب بأبي جعفر. انظر ما كتب عنه في تاريخ الأدب العربي - الأعصر العباسية، ج ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٣، وقد أشار الكتاب المذكور إلى بعض مصادر ترجمته في ٢٢٣.

(٤) انظر: العصر العباسى الأول، ص ١٤٨.

(٥) انظر القصيدة كاملة في (الفتح) ج ١، ص ٥٤٢ - ٥٤٤ ومنها البيت السابق، وقد سميت بـ «كتز الأديب» وقد نقلها «فون شاك» في كتابه (الشعر العربي في إسبانيا وصقلية) ص ١٨٩ وما بعدها.

أما القائل فهو أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي ت ٦٢٣ هـ. انظر ما كتب عنه في تاريخ الأدب العربي، ج ٥، ص ٦٤٠، وقد أشار إلى مصادر ترجمة الشاعر في صفحتي ٦٤٤ - ٦٤٥.

(٦) القائل هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي البلنسي ت ٥٧٢ هـ. انظر ما كتب عنه في مقدمة ديوانه، وانظر البيتين في ص ٣١.

وقال آخر^(١):

بنجد أناخو العيس بعد نهامة
ويا بُعدَ ما يبني وبينك يا نجد

وهو^(٢) القائل:

لي سكنْ شطت به غريةُ
ما حُسْنَ الصبح ولا رافقِي
كأنما الصبح لنا بعده
جادت لها عيناي بالمرزن
بياضه مذبانَ في الظعن
عين قد ايَضَّت من الحزن

و (ابن زيدون) هو القائل شاكياً:

أنَ الزمان الذي مازال يضحكنا
غَيْظَ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
فانحلَّ ما كان معقوداً بأنفسنا
أُنساً بقربهم، قد عاد يبكيانا
بأنَّ نغضن، فقال الدهر: أمينا
وابثَّ ما كان موصولاً بأيدينا

إننا نعلم أن شكوى (ابن زيدون) شكوى ذاتية تتعلق بالبعد والهجران
القسري، إلا أن هذا الأمر ينطبق أيضاً على أهل الأندلس، خاصة أولئك
الذين عانوا من القلق والحزن وإن تعددت أو اختلفت الأسباب في تكوين
ذلك القلق.

إن قلق أهل الأندلس لهو أشبه بالموت الذي تتعدد أسبابه ولكنه
واحد، أو كما قال الشاعر المشرقي:
من لم يمت بالسيف مات بغierre تعددت الأسباب والموت واحد

(١) هو علي بن عطية الله بن مطرف بن سلمة اللخمي يعرف بابن الزقاق البلنسي - ٤٨٩ - ٥٣٠ هـ على خلاف في هذا التاريخ. انظر ما كتب عن الشاعر وحياته في مقدمة

المحقق، وانظر البيت ص ١٤٢ ، وهو من مقطوعة مطلعها:
رمى أدمعي نُصْ الركائب والوخدُ فآبَدَتْ هوى من لم يكن سَقِماً يبدو

(٢) انظر: الديوان، ص ٢٧١ ، وقد قال عن زمانه:
ألا عظة، إن الزمان خرؤون وإن ملمات الزمان فنون
انظر ص ٢٧٦ من السابق.

إن الشعر والنشر الأندلسي قد جاء حافلاً بالإشارة^(١) إلى ذلك الحزن والقلق المعاش، ففي الغزل نجد تعبيراً عن الهوى الخائب^(٢):

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ولكنه أبدى لنا الغل ووالحسد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا فما هو في كل المواطن بالرشد

وقال الشاعر المرواني الطليق^(٣):

أقول ودمعي يستهلل ويسفح وقد هاج في الصدر الغليل المُبرَّح
دعوني من الصبر الجميل فإنني رأيت جميل الصبر في الحب يقبع
وابن شهيد قد قال^(٤):

أشكوا إليها الهوى خلوا من التّعم
مغرسٌ في ديار الظلم والظالم
برء من الشوق أو براء من العدم
وقالت النفس لما أن حللت بها
ختام أنت على الضراء مضطجع
وفي الشرى لك لو أزمعت مرتاحلاً

وابن زيدون هو القائل^(٥):

سوداً أو كانت بكم بيضاً ليالينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت

(١) انظر: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ٩٤، على أنه ينبغي أن نعرف أن الموضوع الذي أشار إليه صاحب الكتاب المشار إليه لا يتعلق بما نحن بصدده، إذ كان حديثه عن تعلق الأندلسيين بأساطير العرب وأبطالهم في أشعارهم فجاء شعرهم حافلاً بالإشارة إلى هذا ومن هنا أحيبت الإشارة إلى هذا الأمر لأهميته.

(٢) الثالثة هنا: (حفصة بنت الحاج الركونية). انظر ما كتب عنها في (الشعر النسوى في الأندلس) وانظر الآيات ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ت ٤٠٠ هـ.

انظر ما كتب عنه في المختار من الشعر الأندلسي، ص ٤٣ - ٤٥، وقد أشار في هامش ص ٤٣ لمصادر ترجمته، وانظر البيتين في قطعه الغزلية ص ٤٤ من السابق.

(٤) انظر السابق ص ٦٠.

(٥) انظر السابق ص ٧٨.

وقال الأمير يوسف الثالث^(١):

فبلاه يا ريح الجنوب تأملي
وإن جلت بالحمراء فاقري تحبي
وحبّي على القصر الكبير عليه
وقولي: غريب أتلف الحب قلبه

وفي العلاقات مع الأولاد نجد قلقاً، بل وحزناً^(٢):

يا سخنة العين يا بنيا ليتك ما كنت لي بنيا

بل وحتى من المكان، فهناك من تضجر من بلدته فنجهه يقول^(٣):

فمار على العليا سكناي بلدة كبلدة عالي الأفق من دون نجم
فلو أن غيلانا حوتة ديارها تغنى بمي بينهم غير معجم

والشاعر هنا قد تضجر من بلدته لكنه قد يجد راحة في مكان آخر، إلا
أن هناك من تضجر من كل بلاد الأندلس مثل (ابن رشيق القيرواني) الذي
قال^(٤):

(١) هو الناصر لدين الله يوسف بن المستعنى بالله بن الغني بالله (٧٧٨ - ٨٢٠ هـ). انظر ما كتب عنه في السابق ص ٢٠٦ - ٢٠٨ وقد أشار لمصادر وترجمة، ص ٢٠٧، وانظر الأبيات ص ٢١٣ من السابق.

(٢) القائل هو: أبو بكر محمد بن الملحق. انظر المغرب...، ج ١، ص ٣٨٤.

(٣) القائل هو: ابن عبد ربه. انظر ديوان، ، ص ١٨٥.

(٤) القائل هو: ابن رشيق القيرواني. انظر: النفح ج ١، ٢١٣ - ٢١٤، وقد ورد هذان البيتان في النفح ج ٤، ص ٢٥٥ إلا أن كلمة (تلقيب) قد غيرت إلى (أسماء)، وكان صاحب (النفح) قد وصف صاحب البيتين في أثناء رده عليه «بالكلب العقور». انظر الجزء الرابع من المصدر السابق نفس الصفحة المشار إليها ونفس المعنى قد قاله (ابن عمار)، أبو بكر محمد بن عمار (٤٢٢ - ٤٧٧ هـ):

ما يقبح عندي ذكر أندلس سماع متضد فيها وعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها كالهر يحكى اتفاخاً صولة الأسد
انظر: وفيات الأعيان...، ج ٤، ص ٤٢٥ - ٤٢٨.

مما يزهّدني في أرض أندلس تلقيب معتقد فيها ومعتمد
 ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد
 وإذا كان الأندلسي قد تضجر من مكانه أو أرضه، فإنه قد تضجر من
 بعض الظروف التي أحاطت به كالفقر مثلاً، يقول أحدهم^(١):
 ألا فاذروا لي بالسراح فإنه نهاية مطلوبٍ وفيه عذابٌ
 فإنني قد خلقت في أفق موطنِي فراخاً هواهم ليس عنه منابٌ
 أو الغربة القسرية التي فرضت عليه بسبب العدو أو الفتنة الداخلية^(٢):
 أنا في الغربة أبكي ما بكت عين غريب
 ومن الشعرا من «الشخص محنته»^(٣) بقوله في الغربة^(٤):
 يا أحبابي اسمعوا بعض الذي يتلقاه الطريد المغترب
 ول يكن زجراً لكم عن غربة يرجع الرأس لديها كالذنب
 ولشن قاسيت ما قاسيته فيما أبصر لحظي من عجب
 وهناك غربة طوعية من أجل العلم، ولكنه يشعر فيها بقلق الغربية
 والبعد عن الأهل والأحبة^(٥):
 مضت لي شهور منذ غبتكم ثلاثة وما خلتني أبقى - إذا غبتكم - شهراً

(١) القائل هو: القاضي مختار بن عبد الرحمن الرعيني. انظر: المغرب ج ٢، ص ٢٠٧.

(٢) القائل هو: أبو المعالي الإشبيلي، انظر النفح ج ٤ ص ١١٣ - ١١٤.

(٣) من: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ، ص ٣٣٥.

(٤) القائل: هو أبو بكر محمد بن قاسم أشكهباط، انظر: المغرب ج ٢، ص ٣١.

(٥) القائل هو: أبو الوليد عبد الله محمد المعروف بابن الفرضي. انظر ما كتب عنه في الذخيرة ق ١، م ٢، ص ٦١٤ وقد أشار المحقق في هامش هذه الصفحة.. لمصادر ترجمة القاضي الشاعر (ابن الفرضي)، أما الأبيات فهي من مقطوعة في السابق، ص ٦١٥ - ٦١٦.

ويقول: سأستعب الدهر المفارق بيننا
وهل نافعي أن صرت استعبد الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم واستسهل البر الذي جبت والبحرا
على أن الغربة مهما تنوّعت عند الأندلسي، إلا أنها قد كانت قلقاً آخر
إضافة لما كان يشعر به من هم وحزن قبلها مما جعل أحدهم يقول ناصحاً
بتحمل الظروف مهما كانت، فالغربة أسوأ بكثير من كل ما يلقاه الإنسان في
وطنه من هموم أخرى^(١):

لا تقترب عن وطنك واذكر تصارييف النوى
اما ترى الغصون إذا ما فارق الأصل ذوى؟
ولعل في ذلك دلالة على الوفاء من قبل المفكر لبلاده حتى وهو في
أسوأ الظروف، قال الشاعر^(٢):

أهيم بهم في كل واد صباية وأزداد مع طول البعد لهم وذا
وقال (ابن الخطيب) مبيناً حبه لوطنه بعد بعده عنه: «مُزق شملي وفرق
بني وبين أهلي، وتعدى عليَّ وصُرفت وجوه المكاييد إلىَّ حتى أخرجت من
 وطني وبلدي ومالي وولدي ومحل جهادي وحقي الذي صار لي طوعاً عن
 آبائي وأجدادي... وأنا قرعت بباب الله بتأميلك، فالتمس لي قبولة بقبولك
 وردني إلى وطني على أفضل حال...»^(٣).

إن الأندلسي في بعده عن وطنه قد بكى في عاطفة مشبوبة آلام

(١) القائل هو: أبو الحسين محمد بن أحمد بن حبیر. انظر البيتين وما كتب عن صاحبها في النفع ج ٢، ص ٣٨١ - ٣٨٢.

(٢) انظر السابق، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) من كتاب: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، ص ٧٠، وابن الخطيب هو القائل:
 وطن قد قضيت فيه شباباً لم تدنس منها البرود مذمة
 بنت عنه والنفس من أجل من قد خلفته خلاله مغنمة
 انظر السابق ص ٧١.

الفارق^(١)، وقد ظهر لنا ذلك فيما خلّفه لنا من فكر بين شعر ونثر أظهر لنا فيه ذكرياته عن بلده الذي حوى المال والأهل والولد إن كان قد بقى منه شيء مع توالي الفتنة وتکالب الأعداء.

إننا لو تبعينا ما قاله المفكر الأندلسي حول عللته الذاتية^(٢) لطال بنا السفر وترامت علينا الأوراق ولتحول البحث إلى إعادة المكرر الذي حوته بطون الكتب بين مصادر ومراجع، وكان بإمكاننا ذلك، فما أسهل النقولات، إلا أن النفس تنفر في واقعها من تكرار الشيء الموجود، ولهذا فقد كفتنا البحوث والدراسات التي صدرت وتصدر تباعاً عن الفكر والمفكر الأندلسي ذلك النقل، ولهذا فما على الدارس إلا العودة إليها، فهي في متناول اليد^(٣).

(١) انظر: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ١٠٤ .

(٢) بإمكاننا أن نقول أن تلك العلل الذاتية التي أشرنا بعضها، وبعضها لم نشر إليه كلها تندرج تحت عنوان (الشكوى من الوضع) وقد تمثلت في: (ماله علاقة بالأرض وبالمنزل وبالأولاد وبالهجران وبالكسيل وبالخمول بعد الشهرة وبالحسد وبالفرق وبالحنين وبالغرية.. إلى آخر ذلك مما يتعلّق بذات الإنسان).

(٣) انظر مثلاً جذوة المقبس: ص ١٦٥ ، ٢١٦ ، ٢٩١ ، ٣١٠ ، والصلة... ص ١٩٧ - ١٩٨ ، ٢٥٥ ، والذخيرة في معظم صفحاته، وفتح الطيب... ج ١ الصفحات ٢٧٥ ، ٢٣٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٤٥ ، ٥٠١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٧٣ ، ٥٨٩ ، ٦٦١ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٣٤ ، ٢٣ ، الصحفات ٢٣ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٥٩ ، ٤٩٠ ، ٥٣٨ ، ١٠٩ ، ٦٣٨ ، ٦٤١ ، ٦٩٥ ، انظر السابق ج ٣ ، ص ٣٨ ، ٥٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦١ ، ٢٨٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٩٣ ، ٢٥٩ - ٣٦١ ، ٤٣٨ ، ٤٣٤ ، ٤٢٤ ، ٤٠٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٢ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ - ٤٥١ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٧٨ ، ٤٥٢ - ٤٩٣ .

انظر السابق. ج ٤ ، الصفحات ٧٦ - ٧٧ ، ٩٦ ، ١٣٩ ، ٩٨ ، ٢٢١ ، ٢١٤ ، ١٦٧ ، ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥١ - ٢٥٠ ، ٢٢٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٥٣ ، ٣٦٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧ ، ٣٨٠ ، ٤٠٧ ، ٤١٨ ، ٤٣٨ =

.....
.....

= ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ - ٤٥٧ ، ٤٦٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ . ٥٠٠ ، ٥٢٩ ، ٥١٠ ، ٥٤١ .

وانظر: ديوان (ابن عبدون) الصفحات ١٣٩ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٥٨ - ١٨٦ . ٢١٠ .

وديوان (الرصافي اللبناني) ، ص ٢٥ ، ٣١ ، ٥٢ ، ٣٩ ، ٦٠ ، ٩٢ - ٩٣ .

وديوان (ابن الزفاق اللبناني) ص ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، وكذا ١٧٠ .

وديوان (ابن سهل بتحقيق يسري عبد الله) الصفحات ١٨ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٥١ ، ٢٧٩ ، ٢٨ .

وديوان (ابن حزم) الصفحات ٤٦ - ٤٧ ، ٥٩ ، ٤٧ ، ٧٠ - ٧١ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ١٠٩ .

وديوان (ابن زيدون) الصفحات ٩ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٢٣ ، ١٧٥ . ١٧٥ ، ١٨٨ ، ١٩٤ .

وديوان (ابن عبد ربه) ص ٢٦ ، ٦٢ ، ١٣٤ ، ٧٢ ، ١٨٦ ، ١٨٩ .

و (البسيطي) ، ص ٣٠ . ١٩٦ .

وديوان (ابن شرف القيرواني) ٢٣ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ١٠٥ .

وديوان (الصيّب والجهام) ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

وديوان (ابن خاتمة) ص ٧٣ ، ١٢٧ ، ١٨٩ .

وديوان (الألبيري) ص ٣٧ ، ٤٠ .

وانظر ديوان المعتمد فمعظم صفحاته قد حوت حديثاً عن العلل التي تعرض لها سواء في مملكته أم في منفاه وسجنه ..

وانظر: المختار من شعر شعراً الأندلس ، ص ٢١ - ٢٤ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ .

وانظر: الموشح الأندلسي ، ص ١٨١ .

وانظر: الأعمى التطيلي: حياته وأدبها ، ٩١ وأكثر الصفحات قد تحدث فيها الشاعر عن علته، وما تعرض له من الألم.

وانظر: ابن حمد يس شاعراً ، ص ١٥٤ .

وانظر: الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين ، ص ١٢٥ .

وانظر: حول الأدب الأندلسي ، ص ٨٢ .

وانظر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ، الصفحات ١٦٧ ، ١٧٣ ، ٢١١ .

وانظر: الشعر النسوي في الأندلس ، ص ٤١ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٣٠ .

وانظر: المختار من الشعر الأندلسي ، الصفحات ٢٤ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٠ =

ولوضوح تلك العلل في فكر أهل الأندلس، فإن في ذلك دلالة على أن الشخصية الأندلسية قد طُبعت على وجه العموم «بطابع القلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة لقصوة الحياة، وتنافز الطوائف وشيع الفتن وكثرة الحروب...»^(١)، ولهذا فإن الأندلسي «لا يبالغ في الاستمتاع بالسعادة قمتها، لا في الحب ولا في العلاقات اليومية مع أترابه»^(٢)، الأمر الذي جعل السعادة أشبه بشيء عابر لا يتمتع بها الأندلسي إلا ويأتيه أمر يقلقه و يجعله ينفر من سعادته مما جعل أحد الباحثين يقول عن الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيز في غرناطة أنه قد كان غارقاً في القلق والسوداء، بل إن ذلك الباحث يقول إن الأمير هو الذي أفرأى بذلك في مذكراته^(٣)، فإذا كان هذا

= ٢٢٢ . ٧٣ - ٧٤ ، ٦١ ، ٢١٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٠ ، ١٥٢ ، ١٢٦ ، ١١٣ ، ١٠٤ ، ٩٨ ، ٩١ - ٩٠ ، ٦١ =

وانظر: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص ١١٦، و (عصر الطوائف والمرابطين)، ص ١٧٧.

وانظر: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

وانظر: الدراسات التالية فقد حوت الكثير من النماذج لما نحن بصدده:

أ - المكتبة الأندلسية التي حققها إبراهيم الإيباري.

ب - قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي.

ج - سلسلة كتب محمد عبد الله عنان في التاريخ الأندلسي.

د - الأسر والسجن في شعر العرب.

هـ - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف.

و - اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري... إلى غير ذلك من الدراسات الحديثة التي صدرت وما زالت تصدر تباعاً في المشرق والمغرب على حد سواء، ولعل آخرها - في نظري على أقل تقدير - كتاب «الغرابة والحنين في الشعر الأندلسي» الصادر عن كلية الآداب في الرباط.

(١) من البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف، ص ٥٧.

(٢) من الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة...، ص ٤٠٢.

(٣) انظر: السابق، هامش ص ٤٠٢.

خاصةً بالأمير، فكيف بعامة الشعب؟ فهم الذين يتعرضون للحيف والظلم والتشريد الأمر الذي جعل المفكر الأندلسي ينقل شيئاً من ذلك في فكره ليعبر عن تلامحه مع من حوله فيكون بمثابة المرأة العاكسة لما حوله هو وأدبه، فكلاهما قد أصبحا عملية واحدة، وقد تعكس تلك المرأة ما يتعرض له هذا المفكر أو ذاك كجزء من مجتمع، يقول (ابن حزم)^(١):

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا	فجائعه تبقى ولذاته تفني
إذا مكنت فيه مسيرة ساعة	تولت كمر الطرف واستخلفت حزناً
إلى تبعات في المعاد و موقفِ	نود إلينه أنساً لم نكن كُنا
حصلنا على هم وإثم وحسرة	وفات الذي كنا نلذ به عَنَا
حنين لما ولَى، وشغلُ بما أتى	وهمُ بها يشغى، فعينك لا تهنا
إذا حفته النفس لفظ بلا معنى	كان الذي كُنا نسر بكونه

وابن حزم نفسه هو من أولئك الذين اتجهوا للتراجم الذاتية إذ وجد فيها متنفساً للتعبير عن دواعي نفسه، كما وجد فيها «شعوراً بجمال الماضي، وتغير الحاضر وتقلب الأحوال...»^(٢).

وإذا كان ذلك رأي (ابن حزم) عن تقلب الأحوال، فإن (ابن خفاجة) له نفس الرأي، إذ نجده يقول^(٣):

لا العصايا ولا الرزايا بواقي؛ كلُّ شيءٍ إلى بلى وذُور

(١) انظر: الديوان، ص ٩٨، وفي المطبع «أنكرنا» بدلاً من «أدركنا» انظر: ص ٢٨١، وأيضاً في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة...، ص ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) من تاريخ الأدب الأندلس (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٤١.

(٣) انظر: ديوان ابن خفاجة، ص ٤٢١.

فالله عن حالي سرور وحزن
إذا ما انقضت صروف الليالي
ولتوالي العلل على أهل الأندلس، فإن الإنسان بدأ يشعر بخوف
داخلي من الضياع^(١)، وقد انعكس ذلك على فكر الإنسان^(٢):
يا أهل أندلس رُدوا المuar فما في العُرف عارية إلا مردات
الم تروا بيدق الكفار فرزنه وشاهنا آخر الآيات شهمات
وكان ذلك الخوف قد وصل غايتها عند المعتمد بن عباد وذلك لمراة
ما حل به، يقول^(٣):
أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقي بها الشقاء
ولتوالي العلل على أهل الأندلس فإنهم بين شخصين:

* شخص قد شعر بما هو فيه، بل وعاني من عللها، واستسلم، يقول الشاعر^(٤):
الحمد لله على ما قضى فكل ما قضى عليه الرضا
* وشخص ما زال غير مصدق، فقد تملكته الحيرة والاضطراب،
ولكن لتوالي العلل بدأ يفيق ويصدق ما هو فيه وعنده ينطبق عليه قول
الوشاح الاندلسي^(٥):

(١) انظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في كتابه (تأريخ النقد الأدبي عند العرب) عن فترة الخوف من الضياع وأثرها على الشعر والنقد، ص ٤٩٤.

(٢) انظر النفح . . . ، ج ٤ ، ص ٣٥٢.

(٣) انظر: الأدب الأندلسي: التطور والتجديد، ص ٣٣٠.

(٤) الشاعر: حبيب بن أحمد الشطجيري من أهل قرطبة، انظر ما كتب عنه وانظر أبياته التي منها البيت المذكور في المتن في كتاب «جذوة المقتبس» في تاريخ علماء الأندلس» ص ٣١٠، وانظر ما قاله أبو عمر اليحصبي حول نفس المعنى في: الفتح، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٥) الوشاح، هو أبو بكر يحيى بن عبد الرحيم بن بقى من وادى آش، انظر ما كتب عنه =

قد بلينا وابتلينا واش تقول الناس فينا
قم بنا يانور عيني نجعل الشك يقيننا
ولأن علل أهل الأندلس الذاتية كثيرة البعض منها «ينديب الأكباد»^(١)،
فإنني اكتفي بتلك الإشارات التي أشرت إليها سابقاً، فقد حوت المصادر
والمراجع الشيء الكثير منها، وكنت قد أشرت إلى ذلك في بعض الهوامش.

= في (الموشح الأندلسي)، ص ٢١٦ - ٢١٧ وقد أشار لمصادر ترجمته. وانظر
موشحته في ديوان المنشعات الأندلسية، المجلد الأول، ص ٤٢٩ - ٤٣١، وانظر
البيتين في المنشعات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص ١٢٥.

(١) من التفح...، ج ٤، ص ٢٨٥ وقد قال هذا القول عندما تحدث عن أخبار
المعتمد بن عباد وأخبار بناته وزوجه بعد الأسر وضياع الملك.

ثانياً: العلل الاجتماعية

بالرغم من كثرة العلل الذاتية التي أحاطت بالتفكير الأندلسي، إلا أنه لم ينس مجتمعه، فقد تأثر بما حصل ويحصل بلاده من مضايقة الأعداء بل مهاجمتهم لها، ومضايقة أهلها بين الفينة والأخرى، وفوق ذلك ما يحصل فيها من فتن داخلية «لم يعد فيها حيف، ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور»، مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واحتلال الفتنة، واعتلاء المعصية، وطعن الأمان، وحلول المخافة...^(١)، سواء أكانت تلك الفتنة داخلية أم خارجية، فقد فقدت الأندلس على أثرها الكثير من الفقهاء^(٢) والعلماء^(٣)، فقتلوا أو تفرقوا، ومن بقي منهم أصيب هو وعامة الناس بربع وخوف شديدين^(٤)، كما تأثر أيضاً بما قد حصل أو يحصل لأهل بلاده من معاناة للجوع والعطش والخوف وعدم الأمان.

ونتيجة لما حصل للأندلس وأهلها، فقدت شعر المفكر بمسؤوليته،

(١) من الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٣٦، والحديث هذا عن الفتنة البربرية.

(٢) انظر: كمثال على ذلك: النفح...، ج ١، ص ٣٤٤، وانظر: عصر سيادة قرطبة، ص ١٣٧.

(٣) انظر ما كتبه الدكتور: إحسان عباس. في كتابه السابق عصر سيادة قرطبة ص - ١٣٧.

(٤) انظر السابق، ص ١٣٧، وقد أشار لمصادره في هامش الصفحة السابقة، وانظر ما كتبه الدكتور محمد عنان حول نفس الموضوع من مثل كتابة (دولة الإسلام في الأندلس) ج ٢، ص ٤١٨، ٤٢١.

فكان أدبه صدى لتلك النكبات الكبرى^(١)، أو هو صدى لمعظمها وذلك منذ قيام الدولة الإسلامية إلى نهايتها، فقد سجل في أدبه قضايا العصر^(٢) التي من أهمها:

- ١ - القضايا والهموم الداخلية.
- ٢ - سقوط المدن والممالك الأندلسية.
- ٣ - الضعف المتمكن من الناس، ومن ثم الاستقرار وطلب العون من الآخرين.

إننا لو بحثنا عن تلك القضايا التي تناولها المفكر الأندلسي في أدبه لوجدنا أن الدافع الأساس الذي دفعه لتناولها كان متمثلاً في عاطفة حب الوطن «وقد تجلت في أروع صورها»^(٣) في شعر رثاء المدن والممالك، كما تجلت في تلك العاطفة الحزينة الباكية الناقمة أحياناً في بقية ما حاول تصويره من أمور أخرى كانت تمثل عللاً داخلية في نفس هذا الأديب أو ذاك.

وإذا كان المفكر الأندلسي قد عبر عن تلك الأوضاع التي أحاطت به وبياده ومن سكن فيها عبر أدب اتسم بالبساطة في القول والوضوح والتفاعل مع الحدث، فإن ذلك قد جاء من واقع صدقه وتفاعله مع مجتمع شعر بآياتٍ وويلاٍ لازمه قروناً طويلاً أدت في النهاية إلى نهايته^(٤):

أيا أسفى على عدم الهجوع وفقدان الأحبة والربوع

(١) انظر تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - ص ١٧٧ .

(٢) هناك كتاب يحمل عنوان «قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري» من تأليف د. عبد القادر زيدان، وهي قضايا لا تتعلق بما نحن بصدده، فهنا نعالج أدب أمّة، بينما ذاك يعالج أدب فرد من المشرق.

(٣) من رؤية جديدة لشعرنا القديم . . . ، ص ٥٦ .

(٤) القائل هنا (ابن حمد يس الصقلي)، انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ، ص ٣٢٣ .

يشق علىي عن أهلي نزوح
ويغلبني إلى وطني نزوعي
فكم أبكي الديار وساكنيها
بطرف مسعدِ ودمٍ هموع
وقال آخر^(١):

قلت يوماً لدار قوم تفانوا:
أين سُكَانك العزاز علينا؟
فأجابت: هنا أقاموا قليلاً،
ثم ساروا ولست أعلم أينما؟

أقول إذا كان المفكر الأندلسي قد شكا في أدبه ما حل بيلاه وأهلها، فإن ذلك قد جاء من قبيل التفاعل مع ما حوله، فإذا كانت البيئة الأندلسية قد أسهمت في تكوين شخصية المفكر وذلك بما غرست فيها من إحساس بالجمال وميل للأدب^(٢)، فإنها أيضاً قد غرست فيها روح التفاعل مع الأحداث المحيطة، تلك التي مثلت هما حقيقة عانى منه كما عانت منه أمه في تلك الجزيرة (المنكوبة) أو (الجزيرة المهضمة)^(٣) التي كان لأهلها «بين زمان الفتح وما بعده وقائع في الكفار شفت الصدور من أمراضها، ووفت النفوس بأغراضها، واستولت على ما كان لملة الكفر من جواهرها وأعراضها، ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الأختلف، فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعني العلاج حكماء الرجال، فصار أهل الأندلس يتذكرون موسى وطارقاً ومن بعدهما من ملوك الأندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق...»^(٤).

ألا أيها القلب المصڑح بالوجود أمالك من باديء الصيابة من يُدْ

(١) وقد نسبا إلى الوزير جهور بن محمد بن جهور، انظر مطبع الأنفس ص ١٨٦ ، إلا أن المحقق قد كتب في هامش الصفحة المذكورة ما دار حول البيتين من خلاف في نسبتهما.

(٢) انظر: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٣ .

(٣) وهكذا سماها (ابن بسام) في ذخيرته، انظر مثلاً: ق ٣ ، م ١ ، ص ١٠ .

(٤) من النفع...، ج ١ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، والأبيات في ص ٣٠٥ وقاتلها: ابن عميرة (أحمد بن عبد الله المخزوبي).

وهل من سُلُّو يرجى لمتئِمْ له لوعة الصادي وروعة ذي الصَّدَّ
يحنُ إلى نجد، وهيهات حرَّمت صروف الليلالي أن يعود إلى نجد
إن تلك القضايا كانت تمثل عللاً داخلية في نفس المفكر الأندلسي
والتي لم يجد بدأً من التعبير عنها بواسطة فكره وأدبه، ذلك الذي نجد فيه
صورةً للقضايا الآتية، والتي تمثل في نظرنا أهم قضايا العصر:

١ - القضايا الداخلية:

لقد كثرت الهموم الداخلية، تلك التي عانى منها المفكر الأندلسي سواء أكان شاعراً أم ناثراً، ولذلك نجده قد سجل تلك الهموم عبر فكره، إلا أن المؤرخ قد كان أكثر تعائضاً مع الواقع وأحداثه، ذلك لأن تاريخه يقوم أساساً على تسجيل الحدث، ومع ذلك فقد حاول أن يلبس هذا الحدث أو ذاك ثوباً أدبياً.

إننا لوقرأنا تاريخ (ابن حيان)^(١) مثلاً، أو المعجب في تلخيص أخبار المغرب (للمراكشي)^(٢)، أو البيان المغرب (للمراكشي)^(٣)، أو المن بالإمامية

(١) المقصود بتاريخ (ابن حيان) كتابه النفيس «المقتبس من آباء أهل الأندلس» بتحقيق الدكتور محمود مكي، أو المقتبس في أخبار بلد الأندلس وقد حقق هذا الجزء الدكتور عبد الرحمن الحجي، أو (المقتبس) بتحقيق شالميتا، أما (ابن حيان) فهو «أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن محمد بن حيان... من أهل قرطبة ٤٦٩ هـ مؤرخ أديب»، انظر ما كتبه عنه الدكتور محمود مكي في مقدمة تحقيقه للجزء الذي حققه، وانظر الذخيرة...، ق ١، م ٢، ص ٥٧٣ وما بعدها وقد أشار محقق الذخيرة في هامش الصفحة المذكورة لمصادر ترجمته، وانظر: وفيات الأعيان...، ج ٢، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) عبد الواحد بن علي المراكشي، يلقب بمحبي الدين (٥٨١ - ...). انظر ما كتب عنه في مقدمة كتابه المذكور بقلم محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.

(٣) ابن عذاري المراكشي، محمد أو أحمد بن محمد المراكشي، أبو عبد اللهالمعروف بابن عذاري ت نحوه ٦٩٥ هـ. انظر ما كتبه عنه في الأعلام، ج ٧. ص ٩٥.

(ابن صاحب الصلاة)^(١) أو النفع (المقربي)^(٢) لوجدنا أنها قد حوت الكثير من الأحاديث التي دارت حول الأحداث الداخلية وهي أحاديث مدعمة بأقوال أدباء وفلاسفة من الأندلس، يأتي بها المؤرخ للدلالة على صدقه، وأن تاريخه لا يقوم على مسايرة الحدث حسب، بل يحوي نظرات شاملة لكل ما يدور حوله مع القاء بعض الضوء على حياة الشعب العامة والخاصة^(٣).

ولأن ما حوتة تلك المصادر يعد شافياً، فلستنا في حاجة لتكرار ما قد تم الحديث عنه، كما أن الكتب الحديثة قد تحدثت هي أيضاً عن تلك الأحداث فكانت مكملة لما حوتة المصادر من تسجيل لكل حدث وقع على مسرح الأندلس أرضًا وناساً^(٤):
لمساب أندلس تصوب الأدمع ولما جرى فيه تذوب الأصلع^(٥)

(١) ابن صاحب الصلاة، هو عبد الملك بن محمد بن أحمد، يعرف بابن صاحب الصلاة ٥٥٤ - ٥٩٤ هـ، انظر ما كتبه عنه محقق كتابه المذكور في المتن، والمحقق هو عبد الهادي التازي، انظر الصفحات من ١٤ - ٢٥.

(٢) المقربي، هو الشيخ أحمد بن محمد المقربي التلمساني، يلقب بشهاب الدين ٩٨٦ - ١٠٤١ هـ.

انظر: التعريف به بقلم الدكتور إحسان عباس في نفح الطيب، ج ١، ص ٥ وما بعدها.

(٣) انظر: التمهيد الذي خطه قلم الدكتور محمود علي مكي في الجزء الذي حققه من المقبس، ص ٨٧.

(٤) انظر مثلاً: دولة الإسلام في الأندلس ج ١ و ج ٢، ودول الطوائف، وعصر المرابطين والموحدين (١)، ونهاية الأندلس وكلها من تأليف الدكتور محمد عبد الله عنان، وانظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في كتابه (عصر سيادة قرطبة) و (عصر الطوائف والمرابطين)، وغيرهما كثير من الباحثين أمثال الدكتور يوسف عبد في كتابه (أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي).

(٥) انظر هذه المرثية في: البسطي آخر شعراء الأندلس، ص ١٧٢، وانظر أيضاً الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري - موضوعاته وخصائصه، ص ٢١٩، والقائل هو =

وقال آخر^(١):

وقد أظلمت أرجاؤها وتزللت منازلها ذات العلا وقصورها
إن المفكر الأندلسي بشكل عام قد تحدث في فكره عن مجموعة أمور
داخلية ارتبطت بالأرض وبالناس مثل الحديث عن الفقر والمجاعة والقطط
والفرق من السبou^(٢)، والفنون الداخلية كفتنة (هيج الربض) و (الفتنة
البربرية)، وأيضاً عن الإضطراب السياسي في عهد ملوك الطوائف، كما
تحدثوا عن تكالب العدو على الأندلس أرضاً وناساً وما أصاب الناس من
الحيرة والقلق والإضطراب، الأمر الذي دفعهم للقول بفقد الحكم والمجتمع
على حد سواء مما أدى إلى ظهور ظاهرة من الممكن أن نطلق عليها «النقطة
على المجتمع» بكل ما تحمله الكلمة (النقطة) من معان عديدة، وذلك لأن
الهجاء في الأندلس اتجه للنقد الاجتماعي فيه «تشاؤم وسخط على الحياة
والمجتمع والناس جميعاً...»^(٣).

قال أحدهم ناقداً الوضع أيام الفتنة البربرية: «ومن أعجب ما رأيت من
عبر الدنيا أنه تم من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقية من
جمادى الآخرة المؤرخ إلى نصف نهار يوم الأربعاء تتمة الشهر وفي مثل
ساعته فتح مدينة قرطبة وهدم مدينة الزاهرة وخلع خليفة قديم الولاية وهو
هشام بن الحكم ونصب خليفة لم يتقدم له عهد ولا وقع عليه اختيار، وهو

= الشاعر عبد الكريم بن محمد القيسى الغرناطي، انظر ما كتب عنه في: البسطي آخر
شعراء الأندلس ص ٩ - وما بعدها.

(١) القائل مجهول، انظر المرثية كاملة في الشعر الأندلسي في القرن التاسع
الهجري ... ، ص ٢٠٢ وما بعدها.

(٢) انظر مثلاً: المقتبس بتحقيق مكي، ص ١، ص ٥ وانظر: النفح، ج ١، ص ٣٤١
وج ٢ ص ٤٢٣ .

وانظر المختار من الشعر الأندلسي، ص ٢٠٨ .

(٣) من الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ١٦٢ .

محمد بن هشام بن عبد الجبار، و Zhao دولة آل عامر، و كثيرون دولة بنى أمية، وإقامة جنود من العامة المحسودة عورض بها أجناد السلطان أهل الدرية والتجربة، ونكوب وزراء جلة ونصب أضدادهم، تقتلهم العين هجنة وقماءة وجرى هذا كله على يدي بضعة عشر رجلاً من أراذل العامة، حجامين وخرازيين وكنافين وزباليين تعجسوا عليه، وقد، تكفل المقدور بوقوعه فتم منه ما لم يكن في حسبان مخلوق تمامه، فسبحان من هو على كل شيء قادر...^(١)، وكان (ابن حيان) المؤرخ قد قال متقدماً المستظر: «سلطان فقير لا يقع بيده درهم إلا من صباة، مستغل جوف المدينة، أو نهب مفلول من تقلل عنها، يُقيّم منه رمه، ويفرق جملته على من تكتفه من جنده ودائرته، ويتطرق إلى ما يقع من ظلم رعيته، فلم يلبث الأمر أن تفرّى به فسقك دمه، وانحسم الأمل من دولته...^(٢)، وابن عبد ربّه) قد قال ساخطاً على الأوضاع المعاشرة في عصره، مبدياً التشاوُف فهو يرى أن الخير قد انعدم في الدنيا^(٣):

وأيام خلت من كل خير ودنيا قد توزعها كلاب

و (السميسير)^(٤) قد قال في وجوب تحاشي الناس واجتنابهم^(٥):

تحفظ من ثيابك ثم صنها وإنما سوف تلبسها حداداً
وميّز عن زمانك كلَّ حين ونافر أهله تسد العبادا

(١) من البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ٣، ص ٧٤.

(٢) من الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٥١ - ٥٢.

(٣) انظر: الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ١٦٤ وقد أشار في هامشه لمصادره.

(٤) الأديب: أبو القاسم خلف بن فرج الإليري، يعرف بالسميسير انظر ما كتب عنه في الذخيرة، ق ١، م ٢ ص ٨٨٢ وما بعدها، وانظر ما كتب عنه في المغرب، وقد أشار المحقق في هامشه ص ٨٨٢ لمصادر ترجمة السميسير.

(٥) انظر: الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ١٦٥ وانظر الآيات في الذخيرة...، ق ١، م ٢، ص ٨٩٥

وظنَّ بسائر الأجناس خبراً
وأثما جنس آدم فالبعادا
وهو نفسه الذي قال عن ملوك الطوائف^(١):

ناد الملوك وقل لهم:
ما زالوا أهداً، وقعدتم
أسلمتم الإسلام في
إذ بالنصاري قمعتم
فضعوا النبي شفقتكم
لا تنكروا شرق العصا

وآخر قال ناقداً المرابطين^(٢):
في كل من ربط اللشام دناءة
لا تطلبن مرابطاً ذا عفة
ولو أنه يعلو على كيوان

ويشارك الناثر الشاعر في هجاء المرابطين، إذ يقول أحدهم^(٣) ذاماً
المرابطين: «أي بنى اللثيمة وأعيار الهزيمة، إلام يزييفكم الناقد، ويردكم
الفارس الواحد، فليت لكم بارتياط الخيول ضاناً لها حالي قاعد، لقد آن أن
نوسعكم عقاباً، وألا تلوثوا على وجه نقابة، وأن نعيدكم إلى صحرانكم،
ونظهر الجزيرة من رحضائكم»^(٤).

(١) انظر الذخيرة...، ق ١، م ٢، ص ٨٨٥، وانظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين، عن خفوت الهجاء الموجه للملوك في عصر الطوائف، ذلك لأن الأدب اتجه في عهد هم إلى ما يشبه الأدب الإقليمي، انظر ص ١٤٥.

(٢) القائل هو: أبو بكر يحيى بن سهل اليكي، انظر ما كتب عنه في: المغرب في حل المغارب، ج ٢، ص ٢٦٦ وقد أشار المحقق في هامش الصفحة لمصادر ترجمة الشاعر، أما الأبيات فانظرها في ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٣) القائل هو: أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، كاتب نبيه. انظر ما كتب عنه في المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٧٣ وما بعدها.

(٤) من السابق، ص ١٧٦ وانظرها أيضاً في: الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ٦٥ وفي الأخير انظر الصفحتين من ٦٥ - ٦٨ فقد حوت بعض الميسيات التي أدت إلى =

وإذا كان الشاعر والناثر قد نقاوا على بعض الحكماء، فإنهم لم ينسوا مجتمعهما وزمانهما، نجد أحدهما^(١) يقول عن الناس في عصره: «... إن أبرمت حبلًا من الإخاء نقض المفسدون مريرته، أو ملأت يدي بمن أعتد به للشدة والرخاء أفسد الواشون سريرته...»^(٢):

وقال الشاعر (ابن الخطيب) عن أهل زمانه^(٣):

أحسي بين أمواتِ ركودٍ ويقطَّانُ لدى زمانِ نؤومٍ
أدور فما أرى إلَّا نياماً كأنني بين أصحاب الرقيم
عفتُ أعلامَ آدابي وعلمي بهم فبقيتُ كالرَّسم القديم
على أن بعض الشعراء عندما يتوجهون لنقد مجتمعهم، فإنه ينقده على أنه قد
اضاع الدين، وأن ذنبه هي التي أحاطت به، فكانت سبباً لما حل به
وبأرضه، يقول (العسال)^(٤):

لولا ذنوب المسلمين وانهم
ركبوا الكبائر مالهم خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس
فشرارهم لا يختفون بشرهم
أبداً عليهم فالذنوب الداء
وصلاح متخلّي الصلاح رباء

= خفوت شعر الهجاء في عصري الموحدين وملوك غرناطة، وهي أسباب لها . وجاهتها.

(١) ابن التّاكري، أبو عامر محمد بن سعيد التّاكري، انظر الذّخيرة... ق ٣، م ١، ص ٢٢٦ وقد أشار المحقق في هامش الصفحة السابقة لمصادر ترجمة الكاتب والوزير.

(٢) من السابق، ص ٢٢٩.

(٣) انظر: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص ٢٦٣.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن فرج البصري الملقب بالعسال، انظر المغرب في حل المغرب ج ٢، ص ٢١، وانظر: تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٦٠٧ - ٧٠٧، وانظر الآيات في الحياة الاجتماعية في الأندلس: ص ٥٧، وانظر: نفح الطيب، ج ٤، ص ٤٥٢ - ٤٥٤.

وهناك من يعتقدون لأنهم تركوا الجهاد وفضلوا حياة الدعة والتنعم:
 «قلما خلوا من هيبة، عدمو الراعي العنف منذ حقب، فنبذوا السلاح
 وكلفوا بالترقيع ونافسوا في النشّب وعطّلوا الجهاد، وقعدوا فوق الأرائك
 مقعد الجبارية المتفانين من أهل موسطة الأندلس، يتظرون من ينبعث من
 أهلها للقتال عنهم حسبة، ولا يرفدون المختلّ من رابط إليهم بعلقه، فنبأ
 لهم تباً! فتضعضع ثغتهم بتواли هذه النكبات، ولحقت المسلمين بهم
 مضائق يكرب سماعها حتى عم تلك التغور الجلاء، وتوزع المسلمين البلاء،
 وخربت ديارهم وبادت آثارهم...»^(١)، وعن هؤلاء قال الشاعر (ابن
 معلى)^(٢):

لبسو الحديد إلى الوعى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
 ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن بيطرنة ما كانا

إننا لو تبعينا ما قاله المفكر الأندلسي تجاه مجتمعه وما أظهره من نسمة
 عليه لطال بنا المسار، ولاصبح البحث تكراراً لما قد قيل أو سجل، ولهذا،
 فإن الإشارة هنا تكتفي للدلالة على ما نهدف إليه، على أنه ينبغي أن نعرف
 أن العلل الداخلية قد تعددت، بل زادت على قدرة الأديب المفكر مما جعله
 ينفر عنها بعيداً متخدناً من الطبيعة مكاناً للهروب من واقع مرير عشه هو
 وعاشه مجتمعه^(٣)، بل عاشته أمته كلها وأرضه التي يعيش عليها، على أن
 بعضهم قد أخذ يشير في فكره في بعض الأحيان إلى وجوب التجمل، يقول
 الشاعر^(٤):

(١) من الذخيرة، ق ٣، م ٢، ص ٨٥٠ - ٨٥١ والكاتب (ابن حيان).

(٢) ابن معلى، هو الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن معلى انظر ما كتب عنه في السابق، ص ٨٤٠، أما ما قاله من شعر فانظر هـ ص ٨٥٠.

(٣) كان الدكتور عباس قد كتب في كتابه (عصر سيادة قرطبة) عن الحياة السياسية وأنها لم تستطع أن تستغرق جميع جهود الشعر الأندلسي، بل ظل ذلك الشعر مرتبطاً بجوانب الحياة الأخرى كالطبيعة مثلاً... انظر ص ١٠٦.

(٤) انظر: النفح، ج ٤، ص ٣٣١.

فلا تجزع لها جزع الصَّبُرِ
بما قد كان من فقد النبي
إذا نزلت بساحتك الرزايا
فإن لكل نازلة عزاء
وآخر دعا للتسليم فقال^(١):

يتمنى من حراك وسكن
إن يشاً قال له: كن فيكون
ليس للمرء اختيار في الذي
إنما الأمر لرب واحد

٢ - سقوط المدن والممالك الأندلسية:

وتتمثل هذه القضية بالنسبة للأندلسيين علة العلل، فبسببها شعروا بالقلق والخوف، وبسببها شردوا من بلادهم، فتغربوا عن أرض تربوا في أحضانها، وبسببها فقدوا الأهل والأحباب، وبسببها عمّت الفوضى وكثُرت الأضطرابات مما جعل المفكر الأندلسي يقف حائراً مضطرباً أمام تساقط المدن في يد الأعداء بل وزوال بعض الممالك فما كان منه إلا أن بكى في فكره كل هذا بكاءً مرآ، «بكاهَا من يبكي على فراق وطن أحبه وفتنه بجمال طبيعته ورخاء أيامه، فبكى (ابن اللبانة) دولة آل عباد، و(ابن عبدون) دولة بنى الأفطس عندما أزالهما (ابن تاشفين)، وبكى (أبو البقاء الرندي) الأندلس بأسرها»^(٢)، ولأهمية هذه القضية، فإن غالبية الباحثين القديم منهم والجديد قد تطرق لها، ولذا نجد رثاء المدن والممالك متشاركاً في المصادر القديمة والمعارج الحديثة^(٣) وأنه كذلك فلستنا في حاجة لنكرار ما قد كتب، وتكتفي الإشارة إلى أن هذه القضية من العلل التي عانى منها الأندلسيون خاصتهم وعامتهم.

(١) انظر: السابق، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٢) من كتاب (في الأدب الأندلسي)، ص ١١٤ - ١١٥.

(٣) من المصادر انظر مثلاً: الذخيرة في معظم أجزائها، والمغرب في حل المغرب، والنفح...، ج ٤، ص ٤٦٦ وما بعدها (ضياع المدن الأندلسية).

٣ - الاستقرار وطلب العون:

وتعود هذه القضية نتيجة حتمية لما كان الأندلسي قد شعر ويشعر به من ضعف بلاده وما حصل ويحصل فيها.

- فقد تساقطت المدن واحدة بعد أخرى وإن كانت الحروب

ومن المراجع انظر مثلاً: تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطي: د. إحسان عباس.

في الأدب الأندلس د. جودت الركابي، والأدب الأندلسي في عصر الموحدين. د. حكمة الأوسي، والبيئة الأندلسية وأثرها في الشعر د. سعد شلبي، وعصر الدول والإمارات (الأندلس) د. شوقي ضيف.

دراسات أندلسية د. الطاهر مكي، ورثاء المدن والممالك في الشعر العربي حتى سقوط غرناطة د. عبد الرحمن حسين.

الأدب العربي في الأندلس د. عبد العزيز عتيق، والأدب العربي في الأندلس، علي محمد سلامة.

ملامح الشعر الأندلسي د. عمر الدقاد.

أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. فايز القيسي.

الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. د. فوزي سعد عيسى، والشعر العربي في إسبانيا وصقلية. فون شاك.

الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري قاسم الحسيني، وحول الأدب الأندلسي د. قيسر مصطفى.

أندلسيات د. محمد عبد الله عنان بالإضافة إلى كتابه عن عهد الطوائف والمرابطين والموحدين إلى نهاية الأندلس.

الأدب الأندلسي - موضوعات وفنونه - د. مصطفى الشكعة.

الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة والإتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي وكلامها للدكتور منجد مصطفى بهجت.

أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، د. يوسف عيد.

النشر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس تأليف علي بن محمد.

إضافة إلى ما سبق لا ننسى دواوين الشعراء فهي مصدر نثر لهذه المادة.

سجالاً^(١)، إلأ أن العدو قد استطاع اضعاف جند المسلمين في البلاد رغم مواجهتهم له في معظم الميادين.

- وقد سفك الدماء وانتهك الأعراض، ونهبت الأموال.

- وقد عطلت الشعائر الدينية وحولت المساجد إلى كنائس.

- وقد هرب الحي من الناس، بل وشرد، وما عاد يعرف له موطنًا، ونتيجة لذلك كان المفكر الأندلسي في حيرة من أمره، فمنهم القلق المضطرب الذي لم يعد يعرف كيف يتصرف مع هذا الوضع، فأخذ يتساءل ويسأل نفسه، وكأنه أصبح صوتاً بلا صدى^(٢):

كم نَكْرُوا مِنْ مُعْلِمٍ، كم دَمَرُوا مِنْ مُعْشِرٍ!
كم أَبْطَلُوا سُنْنَ النَّبِيِّ وَعَطَلُوا مِنْبَرًا!

ثم قال:

لَوْ صَوْرَ الإِسْلَامِ شَخْصًا جَاءَكُمْ عَمَدًا بِنَفْسِ السَّوَامِقِ الْمُتَحِيرِ
لَوْ أَنَّهُ نَادَى النَّصِيرَ لِخَصْكُمْ وَدَعَاكُمُوْ: يَا أَسْرَتِي يَا مُعْشَرِي!

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ الْوَشَاحِ^(٣):

قَدْ بَاحَ دَمْعِيَّ بِمَا أَكْتَمَهُ

فَشَعَرَ بِالنَّدَمِ وَيَعْظِمُ الذَّنْبَ، فَقَالَ^(٤):

يَا جَنَّةَ زَحْزَحْتَنَا عَنْ زَخَارْفَهَا ذَنْبُنَا فَلَزَمَنَا الْبَثَ وَالنَّدَمَا
وَقَالَ النَّاثِرُ وَاصْفَاً تَلْكَ الْحَالَ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا بَلَادَهُ بِمَنْ فِيهَا: «...»

(١) انظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٣٠٤.

(٢) انظر: ديوان ابن سهل بتحقيق يُسرى عبد الغني، ص ٣٥.

(٣) انظر: الموسوعة الأندلسية، ص ١٨١.

(٤) انظر: أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، ص ٣٠.

وقد نضبت في ربعها مياه الأمان والأمان، ونبعت بين أهلها عيون الخيانة والبهتان، وضعف حبل الديانة فيهم والإيمان، فجندوا إلى جحود النعم والكفران، وتوسّعوا في مطاعة الظلم والعدوان، فأبدلهم الله من النور في أحوالهم ظلاماً، وبالحلال في مكاسبهم حراماً، وخص أسعارهم بالغلاء، وجمعهم بالفتاء، ولفيفهم بالتشتت والجلاء، وللخراب ما يعمرون، وللقتل ما يلدون، وللنهر ما يجمعون، ولغيرهم ما يكسبون **﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** (الزمر: ٤٨) **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبُّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** (هود: ١٠٢) ...^(١).

وقال الشاعر بعد خضوع أهل بلاده للكفار وضعفهم، بل ودفع المال لهم^(٢):

يُوذِي مُغْرِمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ
فَهُمْ أَحْمَى لِحَوْزَتِنَا وَأَوْلَى
لَقْدَ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ
فَلَا دِينٌ وَلَا دُنْيَا وَلَكِنْ
رَضُوا بِالرُّقْ يَا اللَّهُ !! مَاذَا
مَضَى الإِسْلَامُ فَابْكِ دَمًا عَلَيْهِ
ثُمَّ يَقُولُ :

فَلِيلٌ فِي هِمٌ مُسْتَكِنٌ
وَنَرْجُوا أَنْ يَتَيَّعَ اللَّهُ نَصْرًا
وَنَتْيَاجٌ لِذَلِكَ، فَقَدْ أَخْذَتِ الرُّومُ تُضْرِبُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ بَلَادِ
الْأَنْدَلُسِ مَا جَعَلَ الشَّاعِرَ يَقُولُ^(٣) :

(١) من الذخيرة...، ق ٣، م ١، ص ٤١١، وانظر: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص ١٦٧.

(٢) القائل مجهول. انظر القصيدة في الفتح...، ج ٤، ص ٤٨٣ - ٤٨٦.

(٣) القائل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازاري. انظر السابق، ص ٤٦٧.

والجور يأخذ ما بقى والمفرم
والجند تسقط والرعيّة تسلم
إلا معين من الفساد مُسلّم
الله يلطف بالجميع ويرحم
الروم تضرب في البلاد وتغنم
والمال يورد كُلّه قشّالة
وذووا التعيّن ليس فيهم مسلم
أسفى على تلك البلاد وأهلها

ولأن الأندلس أصبحت في هذه الحال من الضعف وتكلّب الأعداء
عليها، فما كان منهم إلا التوجّه بطلب النجدة من الآخرين بعد الله^(١):
يا إلهي وأنت تعلم حالي لا تذرني شماتة الأعداء
وبهذا نصل إلى الفتنة الثالثة، تلك التي اتجهت للاستغاثة وطلب العون
لنجدّة الأندلس، فقال الشاعر مستعيناً بالله ثم بصاحب أفريقية أبي زكريا ابن
أبي حفص^(٢):

أدرك بخيلك خيل الله أندلسـا إن السبيل إلى منجاتها درساـ
وهب لها من عزيز النصر ما التمسـت فلم يزل منها عزـ النصر مُلتـساـ
وحاش مما تعانـه حشـاشتها فطالـما ذاقت البلـوى صباح مـساـ

ثم قال مخاطباً الأمير في آخر القصيدة:

فاماـ هـنـيـناـ لـكـ التـائـيدـ سـاحـتهاـ جـرـداـ سـلاـهـبـ أوـ خطـيـةـ دـعـساـ
واـضـربـ لـهـاـ موـعـداـ بـالـفـتـحـ تـرقـبـهـ لـعلـ يومـ الأـعـاديـ قدـ أـتـىـ وـعـسـىـ
ولـأنـ الخـطـرـ مـحـدـقـ،ـ وـالـضـيـاعـ مـؤـكـدـ^(٣)ـ،ـ فـلـمـ «ـيـزـلـ أـهـلـ الأـنـدـلسـ بـعـدـ
ظـهـورـ النـصـارـىـ -ـ دـمـرـهـمـ اللهـ تـعـالـىـ -ـ عـلـىـ كـثـيرـ مـنـهـاـ يـسـتـهـضـونـ عـزـائمـ الـمـلـوكـ
وـالـسـوقـةـ لـأـخـذـ الثـارـ بـالـنـظـمـ وـالـنـثـارـ...ـ^(٤)ـ،ـ قـالـ الشـاعـرـ دـاعـيـاـ صـاحـبـ إـفـريـقـيـةـ

(١) القائل: أبو جعفر ابن خاتمة، انظر السابق، ص ٣٤٦ وص ٣٤٨.

(٢) انظر: السابق، ص ٤٥٧ وما بعدها، والسائل هو الشاعر (ابن الأبار القضاوي).

(٣) انظر: رثاء المدن والممالك الزائلة...، ص ١٩٥.

(٤) من الفتح...، ج ٤، ص ٤٧٩.

أبا زكريا عبد الواحد بن أبي حفص^(١):

نادتك أندلس فلب نداءها
وأجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعونك العلية فاحبها
من عاطفتك ما يقي حربها
تردد على أعقابها أرذها
واشدد بحبلك جرد خيلك أزدها

وقال آخر داعياً المعتمد بالله السعيد وال المسلمين من أهل عدوة
المغرب لنصرة المسلمين والإسلام في الأندلس^(٢):

فالمفزع الله والذخر العتاد أمير المؤمنين. وحسبي في النجاء هما
أجزت في الدهر جاز إذ حكما
خليفة الله لولا النأي عنك لما
وكنت كاشف كرب لا انكشف له
وقمت ودوني من الأعداء منتقمًا

وفي نفس القصيدة كان الشاعر قد شخص المصيبة في بلاده
ومسيباتها، فقال^(٣):

يا سائلني عن مصاب المسلمين بها
اصح لتسمع أمراً يورث الصمما
نار البغاة فقامت للمردي علمًا
مهما استطال بها التثليث واجترما
يا حسرة الدين والدنيا لأندلس

وإذا كان أهل الأندلس قد طلبوا العون من الآخرين خاصة أصحاب بر
العدوة، إلا أنهم كثيراً ما يواجهون «بكسر الخواطر»^(٤)، فلجموا إلى رب
كريم داعين إياه بقولهم: «اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بث لنا
الحمية في البلاد، اللهم دافع عن الحرير والضعف والأولاد، اللهم انصرنا

(١) انظر: السابق، ص ٤٧٩ وما بعدها، والقائل مجھول، وانظر رثاء المدن والمالک الزائلة ص ١٩٦ وما بعدها، وانظر دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ص ٢٧٠ - ٢٧١ وقد نسبها الدكتور الطاهر مكي لابن الإثار.

(٢) انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٣٢٧.

(٣) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر النفع...، ج ٤ ص ٥١١.

على أعدائك، بأحبابك وأوليائك يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين»^(١).

وكان الناشر نفسه قد وضع المسئولية على اعتاق أهل بلاده، فقال
شعراء^(٢):

ماذا يكون جوابكم لنبيكم وطريق هذا العذر غير ممهد
إن قال لم فرطتمو في أمري وتركتموه ملحداً المعتمدي
تالله لو أن العقوبة لم تخفي لكتفى الحياة من وجه ذاك السيد

وكان شعر الجهاد والدعوة له قد بلغت ذروتها في أواخر الدولة
الإسلامية في الأندلس مما جعل البعض من الباحثين يركز الضوء عليها بل إن
هناك كتاباً قد رصدت هذا الشعر خاصة في العصر الموحدي^(٣).

(١) من منوعات ابن الخطيب، ص ١٢٢.

(٢) انظر: السابق، ص ١٢١.

(٣) فقد قام شفيق الرقب بإصدار دراسة حول «شعر الجهاد في عصر الموحدين»، وهو نفس عنوان الدراسة التي صدرت عن مكتبة الأقصى في عمان.

ثالثاً: العلل الفكرية

لقد عانى الأندلسيون من احتقار المشارقة لكل شيء يأتي من المغرب^(١)، كما عانى الأندلسيون أنفسهم من احتقار كل شيء أمام كل مشرقي حتى نتاجهم مما أدى إلى وجود ضعف نفسي تمكّن منهم عندما يقفون أمام المشارقة^(٢)، ولذا نجد أن الأديب الأندلسي (ابن حزم) قد قال متضجراً من هذا الوضع^(٣):

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيسي أن مطلعى الغرب

(١) من بحث لنا بعنوان «ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي»، ص ٧ وقد حوى بعض الأدلة التي تدل على احتقار المشارقة لكل ما هو مغربي.

(٢) من السابق، ص ٦.

(٣) انظر الذخيرة، ق ١، م ١، ص ١٧٣، وانظر ما كتب عن (ابن حزم) في ص ١٦٧ - وما بعدها، وانظر مطبع الأنفس...، ص ٢٧٩، وانظر: ابن حزم صورة أندلسية، ص ١٤ وما بعدها وانظر الأبيات السابقة في ص ١٨٣ من هذا المرجع، وقد أشار في هامش الصفحة المذكورة لمصادر النص، كما ذكر أن الضبي قد أورد منها بيته في مدح قاضي الجماعة، وله أخرى في ديوانه يشكو فيها وضعه في بلاده. انظر ص ٩٤. على أنه ينبغي أن ابن حزم لم يكن الوحيد الذي شكا من علة الجفاء من قبل بني قومه، فهناك (ابن شهيد) في التوازع والزوايع تلك القصة التي حاول من خلالها إثبات ذاته، وهناك (الأعمى التطيلي) الذي شكا سيادة أهل الفقه في عصره واندحار الشعر:

أيا رحمنا للشعر أقوت ربوعه على أنه للمكرمات مناسك
انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٤٩٥.

لجد على ما ضاع من ذكرى النه
ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فيحيثذ يبدو التأسف والكرب
وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
وأن كсад العلم آفقه القرب

ولو أتني من جانب الشرق طالع
ولي نحو أكتاف العراق صباة
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم
فكם قائل، أغفلته وهو حاضر
هناك يدرى أن للبعد قصة

وعلة ابن حزم هي علة ذاتية، شكا فيها قلة الاهتمام به وبعلمه في
بلاده، إلا أن هناك من المفكرين الأندلسيين من انطلق في شكوكه منطلقاً
آخر، إذ كانت شكوكه صدى لما شعر به هو والمفكرون الآخرون من عدم
الاهتمام بالنتاج الفكري المحلي، وأنه إذا كانت هناك بعض الاهتمامات فلا
تقاس بالاهتمام الذي يحظى به الفكر الوافد من المشرق، قال أبو الوليد
الحميري^(١): «وأما أشعار أهل الشرق فقد كثر الوقوف عليها والنظر إليها
حتى ما تميل نحوها النفوس... ثم قال: «ولا أحوج إليها بما ذكره
للأندلسيين من النثر المبتدع، والنظم المخترع...»^(٢).

وقال (ابن بسام)^(٣) متضجراً هو الآخر من اهتمام الأندلسيين بأدب
المشارقة وترك ما هو في بلادهم: «إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل
الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قنادة، حتى لو
نعق بتلك الآفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا
صنماً وتلو ذلك كتاباً محكماً...» ثم قال مستغرباً ترك ما هو لديهم من نتاج

(١) هو إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب. ت سنة ٤٤٠ هـ انظر ما كتب عنه في كتابة (البديع في وصف الربع)، ص ٩ وما بعدها.

(٢) من مقدمة المؤلف لكتابه (البديع في وصف الربع)، ص ٤.

(٣) هو أبو الحسن علي بن بسام الشترمي ت ٥٤٢ هـ، لم يتم ترجم له محقق الذخيرة،
وانظر ما كتب عنه في تاريخ الأدب العربي لفروخ، ج ٥، ص ٢٧٣ - ٢٧٥، وقد
أشار، في ص ٢٨٠ لمصادر ترجمته.

فكري: «وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة مرمى القصبة ومناخ الرذية، لا يعمر بها جنان ولا خلد، ولا يصرف فيها لسان ولا يد، فغاظني منهم ذلك، وانفت مما هنالك...»^(١).

وقال (ابن طلحة)^(٢) مخاطباً جماعة في محفل: «تقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتبنى وفي عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه؟...»^(٣).

وكانت شكاوى الحميري وابن بسام وابن طلحة قد آتت أكلها، فقد ظهر في الأندلس أدب وفكر رفيع عبر عن ذواتهم، بل زاحم أدب المشرق، وأثر في الغرب مما جعل الشقنقدي يقول متباهياً أمام من فضل بر العدوة على بلاده: «الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بجزيرة الأندلس أن يتكلم منه فيه، ويطنب ما شاء فلا يجد من يعرض عليه ولا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلوم، ولا للوجه الحسن: يا قبيح؛ وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل»^(٤)، وقال الشاعر (التجيبي)^(٥) راداً على من عاب على أهل الأندلس سوء خطفهم^(٦):

(١) من مقدمة المؤلف لكتابه «الذخيرة» ف ١، م ١، ص ١٢ وقد سمي الدكتور إحسان عباس موقفه هذا بالموقف الدفاعي. انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٥٠٢.

(٢) الكاتب أبو جعفر أحمد بن طلحة ت ٦٣٢ هـ، انظر ما كتب عنه في المغرب..، ج ٢، ص ٣٦٤ وفي هامش الصفحة أيضاً.

(٣) من النفح...، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٤) انظر: الرسالة في السابق، ص ١٨٧ - ٢٢٢، وانظر ترجمة الشقنقدي (إسماعيل بن محمد) ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٥) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن البراء التجيبي. انظر ما كتب عنه في: تحفة القاسم، ص ١٤.

(٦) انظر: السابق، ١٦.

فليس يَعْدِ لَنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ
وَإِنْ سُئلْتَ فَبَذَلٌ مِنْ فَمِ وَيْدٍ
حَفْظٌ لِجُوَارِ لَنَا وَالْأَخْذُ بِالْقُوَودِ

مَا خَيْمَ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا
إِذَا بَلَوْتَ فَأَخْلَاقَ مَهْذِبَةَ
مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ فَزَنَا بِأَوْفَرِهَا

ثم يقول:

فَخَذْنَاهُ عَنْ وَالَّدِ مِنَا وَعَنْ وَلَدِ
نَبْوَ ظُفْرِ الْفَتِيِّ عَنْ مَخْلَبِ الْأَسِدِ

إِنْ شَنْتَ مِنْ كَلَمِ الْأَعْرَابِ أَفْصَحَهَا
تَبْوَ حِدَادُ الْطَّبَّاِ عَنْ غَربِ مَنْطَقَنَا

وبعد:

فَتَلَكَ عَلَلٌ تَعْرَضُ لَهَا الْمُفَكِّرُ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْعَلَلُ،
وَتَنَالَتْ فِيهِ الْفَتَنُ، وَلَكُنْهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى امْتِصَاصِهَا، مُؤْمِنِينَ
بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ فَكَانَ لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ مَا قَالَهُ الشَّاعِرُ^(۱):

دَوَامُ حَالٍ مِنْ قَضَايَا الْمَحَالِ
وَاللَّطْفِ مُوْجُودٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَالنَّصْرُ بِالصَّبْرِ مَحْلُ الظَّبَّيِّ
وَالْجَدُّ بِالْجَدِّ مَرِيشُ الْبَيَالِ
حَرْبُ وَسْلَمُ وَاللِّيَالِيِّ سَجَالِ
وَمَا عَلَى الدَّهْرِ اِنْتِقادُهُ عَلَى

وَإِذَا كَانُوا مُقْتَنِعِينَ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ يَسْلِمُونَ الْأَمْرَ لِخَالِقِهِمْ، فَقَدْ قَالَ
شَاعِرُهُمْ (عَزُّ الدُّولَةِ) بَعْدِ سَلْبِهِ مَلْكَاهُ^(۲):

لَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الْمَلْكِ أَصْبَحَتْ حَامِلًا بِأَرْضِ اغْتِرَابٍ لَا أَمْرٌ وَلَا أَحْلَى
وَقَدْ أَصْدَاتَ فِيهَا الْجَذَادَةَ أَنْمَلِيِّ
كَمَا نَسِيَتْ رَكْضَ الْجِيَادِ بِهَا رَجْلِيِّ
وَكَفَّيْ لَا تَمْتَدَّ يَوْمًا إِلَى بَذَلِ
فَلَا مَسْمَعٌ يَصْغِي لِنَفْمَةِ شَاعِرٍ

(۱) انظر: الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري...، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(۲) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف...، ص ٤٠٦.

ولهذا، فإنهم يظهرون التجامل أمام الناس، وأنهم قادرون على تحمل العلل، يقول الشاعر^(١):

إن الكريم إذا نابت مخصصة أبدى إلى الناس رياً وهو ظمآن
يحيى الضلوع على مثل اللظى حرفاً والوجه غمر بماء البشر ملان
وإذا كانت تلك حال أهل الأندلس مع علهم، فما دور تلك العلل في
الإبداع؟ هل كانت مانعة أم دافعة له؟

مجموعة أسئلة واستفسارات لعل فيما قاله المعتمد^(٢):

أنام وما قلبي عن المجد نائم وإن فؤادي بالمعالي لها نام
وإن قعدت بي علة عن طلابها فإن اجتهادي في الطلاب الدائم
وما قاله (ابن عبدون) في رقعة بعث بها إلى (ابن الجد): «... كتبت
عن قريحة خمد لهبها، ونحية ركد هبوبها، وذهن أمحت أصواته، وطبع
أخوت أنواوه، وجنان فلّ ظبّته الكسل، ولسان عقد عذبته الخجل، ندبته إلى
الاحتفال فانقطع، وبعثته على الاسترسال فامتنع...»^(٣).

أقول: لعل فيما قالاه دلالة على معاناة حقيقة مع هذه العلل أو تلك، ف منهم من ينشط مع كثرتها، ومنهم من تضعف عزيمته فكان أهل الأندلس يمثلون صنفين: صنف متفاعل، وصنف متخاذل.

فكانوا بهذا الإنبطار يمثلون قمة القلق والحزن، بل إنهم يمثلون عللاً أخرى لمن يقرأ عنهم فقد تتمكن الرحمة منه، وقد يتغلب عليه اللوم، فيتجه لللوم أولئك المتخاذلين^(٤):

(١) انظر: السابق، ص ٤٠٧.

(٢) انظر: السابق، ص ٣٧٨.

(٣) من ديوان ابن عبدون (الشعر والثر)، ص ٢١٠ - ٢١١.

(٤) الأبيات (لابن حزم). انظر ديوانه، ص ٧٠.

وساورة الدمع حتى حف مدمعه
لما اصطفاه من الأحوال أشنته
آثار ما الدهر بالأحرار يصنعه
عاد كالثُنْ مرأه ومسعه
فالقضيم ملبسه والسجن موضعه

قد عاند الحزن حتى عاد يرحمه
وصار يرحمه من كان يعتذله
تجول حلته في ذاته فترى
جسم تخونت الأيام جثته
تناهبت نور الدنيا محاسنه

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم :
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله... المعروف بابن الأبار: تحفة القادم، حققه وعلق عليه الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله... المعروف بابن الأبار: التكميلة لكتاب الصلة. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله... المعروف بابن الأبار: الحلة السيراء، حققه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣ م.
- أحمد، الدكتور محمد عبد القادر... : دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- أدهم، علي... : المعتمد بن عباد، صدر ضمن سلسلة أعلام العرب عن المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت.

- أسعد، يوسف ميخائيل . . . :
سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، صدر ضمن سلسلة دراسات أدبية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م.
- إسماعيل، الدكتور عبد المنعم . . . :
نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية. مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ.
- إسماعيل، الدكتور عز الدين . . . :
الشعر العربي المعاصر - قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- الإشبيلي، أبو الوليد إسماعيل الحميري الإشبيلي :
البديع في وصف الربيع، حققه وكتب الدراسة وعلق عليه الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدنى، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- الأصبهاني، أبو الفرج . . . :
الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.
- الإلبيري، أبو إسحاق الإلبيري الأندلسى :
ديوان أبي إسحاق الإلبيري، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر في لبنان ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- أمين، أحمد . . . :
ظهر الإسلام، ج ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة.
- الأندلسى، ابن الحداد . . . :
ديوان ابن الحداد، جمعه وحققه وشرحه وقدم له الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

- الأندلسي، ابن خاتمة
ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي. حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية، دار الحكمة، ١٣٩٩ هـ.
- الأندلسي، ابن سهل
ديوان ابن سهل الأندلسي. دراسة وتحقيق يُسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- الأندلسي، ابن شهيد
ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه يعقوب زكي، راجعه الدكتور محمود علي مكي دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- الأوسي، الدكتور حكمة علي
الأدب الأندلسي في عصر الموحدين. مكتبة الخانجي، القاهرة.
- بالثريا، آنخل
تأريخ الفكر الأندلسي. تعریف الدكتور حسين مؤنس، الإداره الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة.
- بدر، الدكتور عبد المحسن طه
حول الأديب والواقع، دار المعارف، الطبعة الثانية.
- البرزة، الدكتور أحمد مختار
الأسر والسجن في شعر العرب. مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- بروفنسال، ليفي
حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان فرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك
الصلة. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- البلنسي، الرصافي
ديوان الرصافي البلنسي، جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٤٠٩ هـ.
- البلنسي، ابن الزفاق
ديوان ابن الزفاق البلنسي. تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- بحث، الدكتور منجد مصطفى
الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- بحث، الدكتور منجد مصطفى
الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بغداد، ١٤٠٨ هـ.
- بيرس، هنري
الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: ملامحه العامة ومواضيعاته الرئيسية وقيمة التوثيقية. ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ١٤٠٨ هـ.
- بيضون، الدكتور إبراهيم
الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس (دراسة في أدب السلطة)، دار النهضة العربية، بيروت.

- تنير، سليم . . . :

ديوان عبد المجيد بن عبدون في أعماله الأدبية (الشعر والثر). إعداد وتحقيق سليم تنير، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

- نفان، الدكتور عبد الله . . . :

ظاهرة الانتقام في الأدب الأندلسي . . . (بحث مخطوط)، ١٤١٣ هـ.

- جبور، د. جبرائيل . . . :

ابن عبد ربه وعقده. صدر عن دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ. ١٩٧٩ م.

- جرار، ماهر زهير . . . :

شعر الرمادي (يوسف بن هارون) شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.

- الجرجاني، علي بن محمد . . . :

كتاب التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠ م.

- الجندي، أنور . . . :

خصائص الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني والمصري.

- الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية:

الطب النبوي، حققه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعي، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

- الجوهرى، إسماعيل بن حماد . . . :

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.

- الحاجري، الدكتور محمد طه
ابن حزم صورة أندلسية، دار النهضة العربية للنشر، بيروت ١٩٨٢ م.
- ابن الحارث، امرؤ القيس بن حجر
ديوان امرئ القيس. ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافى، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- الحجى، الدكتور عبد الرحمن علي
التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧ هـ).
دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- الحستاوي، محمد
في الأدب والحضارة. المكتب الإسلامي في بيروت، دار عَمَّار في عُمان،
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- حسين، الدكتور عبد الرزاق
المختار من شعر شعراً الأندلس لابن الصيرفي. تحقيق الدكتور عبد الرزاق . . . ، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- الحمصي، الدكتور أحمد سليم
ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر
جدوة المقبس في تاريخ علماء الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.
- أبو حويج، الدكتور مروان سليم
أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي. الدار الجامعية، ١٩٨٧ م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين . . . : المقتبس، الجزء الخامس. نشره ب، شالميتا، صدر عن المعهد الأسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط، مدرید ١٩٧٩ م.
- ابن حيان، . . . : المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣ م.
- ابن حيان، . . . : المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حقّه وقدم له وعلّق عليه الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٣ هـ.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله . . . : قلائد العقيان في محسن الأعيان. قدم له ووضع فهارسه محمد العنابي، المكتبة العتيقة بتونس.
- ابن خاقان، . . . : مطمح الأنفس ومسرح الثناء في ملح أهل الأندلس. دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ابن الخطيب، لسان الدين . . . : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ .
- ابن الخطيب، . . . : ديوان الصيب والجهام والماضي والكهان. دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م.

- خفاجي د. محمد عبد المنعم : الأدب الأندلسي، التطور والتجديد. دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد : وفيات الأعيان وأبناء أبناء الرمان. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٧ هـ.
- الداية، الدكتور محمد رضوان : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ.
- الداية، الدكتور محمد : المختار من الشعر الأندلسي. دار الفكر المعاصر في بيروت، ودار الفكر بدمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ.
- الدغلي، محمد سعيد : الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي. الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- الدقاق، الدكتور عمر : ملامح الشعر الأندلسي. دار الشرق العربي، بيروت.
- الرافعي، مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب، الجزء الثالث. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤ هـ.
- الربيعة، الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن : السبب عند الأصوليين. صدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

- رحيم، مقداد... . . .

النوريات في الشعر الأندلسي. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- الرقب، شفيق الرقب... . . .

شعر الجهاد في عصر الموحدين. مكتبة الأقصى، عمان ١٤٠٤ هـ.

- الركابي، الدكتور جودت... . . .

في الأدب الأندلسي. دار المعرفة، مصر.

- الريسوبي، محمد المنتصر... . . .

الشعر النسوي في الأندلس. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨ م.

- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس... . . .

مجمل اللغة. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

- الزركلي، خير الدين... . . .

الأعلام. دار العلم للملاليين، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠ م.

- زيدان، الدكتور عبد القادر... . . .

قضايا العصر في أدب أبي العلاء الامرعي. صدر ضمن سلسلة دراسات أدبية عن الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٨٦ م.

- السائع، الحسن بن محمد... . . .

منوعات ابن الخطيب، تأليف وتحقيق الحسن بن محمد السائع، صدر عن مديرية الشؤون الإسلامية، الرباط، ١٣٩٨ هـ.

- سالم، د. السيد عبد العزيز... . . .

تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة). مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- سالم، د. السيد... : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.
- سلامة، الدكتور علي محمد... : الأدب العربي في الأندلس - تطوره، موضوعاته وأشهر أعلامه. الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ .
- سينزن، صموئيل. م... : المنشع الأندلسي. ترجمة وتقديم الدكتور عبد الحميد شيخة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ابن سينا، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي... : القانون في الطب، تحقيق الدكتور إدوار القش، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- السيوفي، الدكتور مصطفى... : ملامح التجديد في التراث الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- السيد، الدكتور أبو بكر أحمد... : دروس من الأندلس. صدر ضمن سلسلة منبر الدعوة عن دار القلم، الكويت، ١٤٠٨ هـ.
- شاك، فون... : الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ج ١. ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي. دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.
- ابن شريفة، الدكتور محمد... : البسطي - آخر شعراء الأندلس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

- الشكعة، الدكتور مصطفى
الأدب الأندلسي - موضوعاته وفنونه. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣ م.
- شلبي، الدكتور سعد
البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر (عصر ملوك الطوائف). دار نهضة مصر.
- شلبي، الدكتور سعد
ابن حمد يس الصقلي شاعراً. دار الفكر العربي، القاهرة.
- الشستريني، ابن بسام
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- الصفدي، خليل بن أبيك
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
المكتبة العصرية، بيروت.
- ضيف، الدكتور شوقي
عصر الدول والإمارات (الأندلس). دار المعرفاف.
- ضيف، الدكتور شوقي
الفن ومذاهبه في الشعر العربي. دار المعارف بمصر، الطبعة العاشرة.
- طحطح، فاطمة
الغربة والحنين في الشعر الأندلسي. كلية الآداب، الرباط ١٩٩٣ م.
- الطيار، رضا عبد الجليل
الدراسات اللغوية في الأندلس. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.

- الظاهري، ابن حزم
ديوان الإمام ابن حزم الظاهري. جمع وتحقيق ودراسة الدكتور صبحي
رشاد عبد الكريم، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- عاصي، الدكتور ميشال
الشعر والبيئة في الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت
١٩٧٠ م.
- العاني، الدكتور سامي مكي
دراسات في الأدب الأندلسي. الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٧٨ م.
- عباس، الدكتور إحسان
تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة). دار الثقافة، بيروت. الطبعة
ال السادسة، ١٩٨١ م.
- عباس، الدكتور إحسان
تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين). دار الثقافة، بيروت،
الطبعة السادسة. ١٩٨١.
- عباس، الدكتور إحسان
تأريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن
الثامن الهجري). دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ.
- ابن عبد الله، عبد العزيز
الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب. دار الغرب الإسلامي، بيروت،
الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
- عبد الحليم: د. عبد اللطيف
نصوص في الأندلس. دار الثقافة العربية، مصر، ١٩٨٦ م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي :
ديوان ابن عبد ربه .. جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية ،
دار الفكر ، سوريا ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ .
- ابن عبد ربه
العقد الفريد ، ج ٣ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر .
- عبد الرحيم ، الدكتور مصطفى عليان
تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري . مؤسسة
الرسالة ، بيروت ١٤٠٤ هـ .
- عبد العزيز ، الدكتور أحمد
قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي . مكتبة الأنجلو المصرية ،
الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
عنيق ، الدكتور عبد العزيز
- الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ،
١٣٩٦ هـ .
- عجلان ، د. عباس بيومي
عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى . مؤسسة شباب الجامعة ،
الإسكندرية ، ١٩٨٥ م .
- عصفور ، د. جابر
المرايا المتجاورة - دراسة في نقد طه حسين ، صدر ضمن سلسلة دراسات
أدبية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م .
- عنان ، الدكتور محمد عبد الله
١ - أندلسيات ، صدر ضمن سلسلة «كتاب العربي» الكويتية ، يوليو
١٩٨٨ م .

- ٢ - دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر (العصر الأول - القسم الأول)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.
- ٣ - دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العاميرية). وهو القسم الثاني من العصر الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.
- ٤ - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس). مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٥ - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس)، القسم الأول (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ.
- ٦ - القسم الثاني (عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.
- ٧ - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.
- عتاني، الدكتور محمد زكريا
ديوان المؤشحات الأندلسية (مستدرك يتضمن نصوصاً تنشر لأول مرة). دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
- عيد، الدكتور يوسف
أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي. دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- عيد، الدكتور يوسف
التوسيع في المؤشحات الأندلسية. دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

- عيسى، الدكتور فوزي . . . :
- ١ - رسائل أندلسية. تحقيق الدكتور فوزي عيسى، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.
 - ٢ - الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١ م.
 - ٣ - المoshات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٩٠ م.
 - ٤ - الهجاء في الأدب الأندلسي. دار المعرفة بمصر.
- غازي الدكتور سيد . . . :
- ديوان المoshات الأندلسية. منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٩ م.
- غريب، جورج . . . :
- العرب في الأندلس. دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨ .
- الغزال، يحيى بن حكم . . . :
- ديوان يحيى بن حكم الغزال. حققه وشرحه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية، دار قتبة، دمشق. الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.
- غومس، إميليو غرسية . . . :
- الشعر الأندلسي: بحث في تطوره وخصائصه. ترجمة الدكتور حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية.
- فتح الباب، الدكتور حسن . . . :
- رؤبة جديدة لشعرنا القديم . . . ، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب . . . :
- القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- فروخ، الدكتور عمر
- ١ - تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
 - ٢ - تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية). دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي
- تأريخ افتتاح الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري، صدر ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية عن دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.
- القيرواني، ابن شرف
- ديوان ابن شرف القيرواني، تحقيق الدكتور حسن ذكري حسن. مكتبة الكليات الأزهرية.
- القيسي، فايز فلاح
- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. دار البشير، عَمَان، ١٤٠٩ هـ.
- الماضي، الدكتور شكري عزيز
- في نظرية الأدب، صدر ضمن سلسلة النقد الأدبي عن دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- مجتمع، اللغة العربية بالقاهرة.
- المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن محمد، علي
- التراث الأدبي الأندلسي في القرن الخامس - معناه وأشكاله. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

- محمد، الدكتور عبد الرحمن حسين . . . :
رثاء المدن والممالك في الشعر العربي حتى سقوط غرناطة. الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- محمود، الدكتور نافع . . . :
اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.
- ابن مراد، إبراهيم . . . :
مخترارات من اشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- المراكشي، عبد الواحد . . . :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب. صححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨ هـ.
- المراكشي، ابن عذاري . . . :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.
- المرسي، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي . . . :
زاد المسافر، أعده وعلّق عليه عبد القادر حداد، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٠ م.
- المشرق، دار المشرق للنشر :
المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة رقم (٢١)، ١٩٧٣ م.
- مصطفى، الدكتور عدنان صالح . . . :
في الشعر الأندلسي. دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

- مصطفى، الدكتور قبصر
حول الأدب الأندلسي، مؤسسة الأشرف، بيروت.
- المطليبي، الدكتور عبد الجبار
دراسات في الأدب الإسلامي والأموي (الشعراء نقاداً). صدر ضمن سلسلة كتب شهرية (آفاق) عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ هـ.
- المغربي، ابن سعيد
المغرب في حل المَغْرِب، حقيقه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- المقدسي، أنيس
أمراء الشعر العربي في العصر العباسي. دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٧٥ م.
- المقرري، الشيخ أحمد بن محمد
فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨ هـ.
- مكي، الدكتور الطاهر أحمد
الأدب الأندلسي من منظور أسباني، مجموعة مقالات مترجمة. مكتبة الأديب، القاهرة، ١٤١٠ هـ.
- مكي، الدكتور الطاهر أحمد
دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧ م.
- الملاتكة، الدكتورة نازك
قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨١ م.

- مومني، الدكتور قاسم
نقد الشعر في القرن الرابع الهجري. دار الإصلاح للطباعة والنشر، الدمام.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري
مجمع الأمثال. حفظه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لبنان
الطبعة الثالثة، ١٣٩٣ هـ.
- ابن نبي، مالك
مشكلة الثقافة. دار الفكر، دمشق ١٤٠١ هـ.
- نعيسة، حسن
شعراء وراء القضايا. دار الحقائق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- نور الدين، د. حسن محمد
ابن خفاجة (شاعر شرق الأندلس ٤٥٠ - ٥٢٣ هـ). صدر ضمن سلسلة
الأعلام من الأدباء والشعراء عن دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة
الأولى، ١٤١١ هـ.
- الهرامة، عبد الحميد عبد الله
آثار أبي زيد الفازاري الأندلسي. دار فتيبة، بيروت، الطبعة الأولى،
١٤١٢ هـ.
- الهرامة، الأعمي التطيلي - حياته وأدبه. المنشأة العامة للنشر والتوزيع
والإعلان، طرابلس ليبيا. الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ.
- الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى
كتاب الألفاظ الكتابية. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠ هـ.
- هيكل، الدكتور أحمد
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. دار المعارف، الطبعة
الثامنة، ١٩٨٢ م.

- هيكل، الدكتور أحمد... .

قصائد أندلسية (دراسة أدبية). مكتبة الشباب، مصر.

- وهبة، مجدي... . (المشاركة):

نظريّة الأدب. رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي،
مراجعة الدكتور حسام الخطيب، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر،
بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.

- البعلوي، محمد... .

ابن هانىء المغربي الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية ٣٢٠ - ٣٦٢ هـ. دار
الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مدخل
١٥	البحث
١٧	الشكوى من العلة
٢٤	الحزن والشخصية الأندرسية
٣٤	أولاً: العلل الذاتية
٤٩	ثانياً: العلل الاجتماعية
٦٦	ثالثاً: العلل الفكرية
٧٣	فهرس المصادر والمراجع
٩٥	فهرس الموضوعات